

تاجز البنيا قيترا

وليم شكسبير



تعريب
خليل مطران



دار المعارف بمصر

اهداءات ٢٠٠١

لواء طبيب / محمد الحميد سلطان

الإسكندرية

تاجر البندقية

وليم شكسبير

تعريب
خليل مطران



الطبعة الثامنة



دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كوريشن النيل - القاهرة ج.٢٠٠٤

دراسة مسرحية تاجر البندقية

مجمّل الرواية

أنطونيو تاجر شريف النفس نزيه الطعنة من تجار البندقية ، وقد سميت الرواية باسمه ، وعلى الرغم من استقامة الخلق عنده فإن موجة من الحزن تغلب على مزاجه . وقد حاول نفر من أصدقائه - وهم سالانيو وسالارينو وجراتيانو وباسانيو أن ينزعوا منه هذه التزعة الحزينة بإصفاهم الود إياه .

وكان باسانيو أدنى الأصدقاء مرتبة إلى قلب أنطونيو وأصفاهم له وداذاً ، وهو شاب أعانه شبابه الغض وكرمه الواسع على أن يفقد ثروته . وكان قلب باسانيو يخفق بحب فتاة ثرية واسعة الميراث اسمها بورسيا ، وهبت لها الأقدار من فضائل النفس ومواهب الخلق قدر ما وهبت لها من واسع الثراء . وقد أعانها مالها وفضائل النفس التامة فيها على أن يتقدم لبابها الخطّاب من طبقة الأمراء والأشراف ليظفروا بها زوجة نادرة المثال . وكان من خطّابها أمير مراكش وهو شاب أسمر الأديم لوّحتة الشمس في مسقط رأسه ، وأمير أراغون ، وأمير نابلي ، وأمير ألماني ، وشريف إنجليزى ، ونبييل

إسكتلاندى . ودخل باسانيو بين هؤلاء الخطّاب الثّرين لعله يفوز بالفتاة بورسيا دوّهم جميعاً .

ولم يكن أمر اختيار زوج من هؤلاء الخطّاب موكولاً إلى إرادة الفتاة نفسها ، ولكن أباهما أوصى قبل وفاته أن يكون ذلك إلى اقتراح على صندوق من صناديق ثلاثة : أحدها ذهبى ، والآخر فضي ، والثالث من مادة الرصاص . وفي هذا الأخير صورة لبورسيا ، فن وقع اختياره من الخطّاب على الصندوق الرصاصى كانت الفتاة من نصيبه ، وكان جديراً بالاقتران بها .

ودخل باسانيو بين الخطّاب وهو مفلس من المال وغنى بالحبّ المعتلج في قلبه ، فاضطر أن يقترض المال الذى يتقرب به إلى بورسيا حتى يلبق به موضعه بين الخطّاب . فلجأ إلى صديقه الولى أنطونيو — أوتاجر البندقية — الذى كانت أمواله وعروضه كلها على سفته وفلكه المشحون فيما وراء البحار . فاضطر أنطونيو — وفاء بحق صديقه باسانيو — أن يقترض المال باسمه من يهودى في مدينة البندقية اسمه شيلوك . وقبيل أنطونيو الرقى شرطاً وضعه اليهودى في الصك ، وهو أنه إذا فات الأجل المضروب لوفاء الدين استحق شيلوك اليهودى على أنطونيو المسيحى أن يقتطع رطلاً من اللحم من صدره . . . وقد رضى أنطونيو بهذا الشرط القاسى الوحشى قياماً بحق صداقة باسانيو عليه . ورضى أن يقترض من شيلوك على الرغم من كراهته له واحتقاره إياه ، لأنه كان نهازاً لسباحة النصارى من أهل

البندقية الذين كثيراً ما أوذوا من ربه الفاحش .
وتقدم باسانيوليخطب بورسيا على الطريقة التي أوصى بها أبوها الميت
من الاقتراع على الصناديق . وقد أدنى الطمع الخطاب من الصندوق
الذهبي أو الفضي فباءوا بالخيبة في خيرة لم يكن لهم فيها الخير . . . وكأنما
ألم باسانيوالخير الذي شاءه الله له . . . كما تقضى بذلك حبكة الرواية —
فوقع اختياره على الصندوق الرصاصي الذي يبشر مختاره بقبوله زوجاً طله
الفتاة الثرية العاقلة .

وبينا باسانيو في نشوة أفراحه لخروج الاقتراع على ما يهواه ، ولظفره
بفتاة أحلامه إذا به يعلم أن خسراً كبيراً قد حل بعروض أنطونيو وأذسفته
قد تعرضت لثورة البحار ، وأنه أصبح بذلك عاجزاً عن الوفاء بدين اليهودي
في أجله . وأن اليهودي قد أمعن في المطالبة بتنفيذ حرفة الصك —
أى اقتطاع رطل من اللحم من جسد أنطونيو — ما دام قد فات أوان
أداء الدين .

وترك باسانيو عروسه الجميلة في زحمة الأفراح بالزواج منها ، مصمماً
على أن يخلص حياة صديقه الوفي أنطونيو من يد شيلوك اليهودي الذي
لا يرحم ، ولو كان في ذلك حنقه هو . لأنه لا ينسى أن أنطونيو استدان
المال من اليهودي لأجله هو لا لأجل نفسه .

ولما علمت بورسيا بالأمر كله وطدت عزمها على أن تدافع عن
أنطونيو وأن تخلصه من المحنة التي وقع فيها مع شيلوك المصمم على الوفاء

بشروط الصك ، وهو اقتطاع رطل من لحم أنطونيو الذى لا ينفعه الآن في نظر اليهودى مال مهما طال . . .

وتنكرت بورسيا في زى محام من الفتيان وأجادت الدفاع عن أنطونيو الذى لم يعرفها ، كما لم يعرفها زوجها باسانيو ، لأنها كانت متنكرة . واستطاعت في ذكاء وحسن حيلة أن تحيل شيلوك اليهودى إلى راج ذليل . . . فقد استعملت شرط اقتطاع اللحم ضده ، مصممة على أن يكون اللحم بلاقطرة من دم ، تمشياً مع حرفية النص الذى ينص على أن رطل اللحم بلا دم . . . وهكذا كان القانون على شيلوك لاله ، واضطرته بورسيا - وهى في ثوب فنى محام - أن يكتب أمام دوق البندقية عهداً على نفسه بأن ينزل عن كل ثروته يوم وفاته لابنته جسيكا التى كانت سرقت قسطاً من ذهب أبيها وأثمن جواهره وهربت بها مع عشيقها المسيحى لورنزو وهو واحد من أصدقاء أنطونيو .

ومن عجب أن يعيش لورنزو وجسيكا بنت شيلوك في بيت بورسيا الضخم خلال اشتغال هذه بالدفاع - متنكرة - عن أنطونيو أمام محكمة البندقية وعلى مشهد من الدوق .

وبعد انتهاء المحاكمة إلى المصير الذى صارت إليه بنخبة شيلوك اليهودى وخسرانه وفقدانه ثروته ، وصيرورته مديناً ذليلاً محروماً بعد أن كان دائماً طاغياً متجبراً - بعد هذا تنتهى الرواية بوصول أوثق الأخبار عن نجاة سفن أنطونيو مما كان قد أشيع عن هلاكها ، ونحتم المسرحية نختاماً

سعيداً يجتمع فيه الأزواج باسانيو وبورسيا ، ولورنزو وجسيكا ، كما يلتقي معهم صديقهم الوفي أنطونيو الذي عادت إليه سفنه وأمواله سليمة صحيحة ، كما عادت إلى جسيكا - ابنة شيلوك وزوجة لورنزو - أموال أبيها شيلوك الذي تمثلت في جشعه وحققه وفساد طبعه وقساوة قلبه حفنة من أخلاق قومه

منابع هذه الرواية

قصة تاجر البندقية مشروحة من خيوط متنوعة قديمة قدم الطبيعة البشرية ، حتى ليؤكد مؤرخو الأدب الإنجليزي أن هيكل الرواية كله ليس لشكسبير فيه إلا فضل الحكمة الفنية . فإن حكاية الاقتراع على الصناديق ، وحكاية اقتطاع رطل من اللحم البشري مما يرتد إلى أصول تاريخية قديمة من المحتمل أن تكون شرقية . على أن حكاية الصناديق - كما جاءت في مسرحية تاجر البندقية - موجودة في مجموعة لاتينية من القصص تسمى : « Gesta Romanorum » جمعت في سنة ١٣٠٠ . وقد ترجمت إلى الإنجليزية وطبعت بوساطة « Wynkiv de Worde » ، وكانت شائعة بين الإنجليز في عصر أليصابات إلى حد أنها طبعت ست مرات بين سنتي ١٥٧٧ و١٦٠١ ، أي في شباب الشاعر شكسبير .

أما حكاية اقتطاع رطل من لحم الإنسان فهي موجودة في الأساطير الآرية وفي الأدب الشرقي جملة والمصري القديم خاصة . وقد ظهرت في

الأدب الإنجليزي في قصيدة «Cursor Mundi» سنة ١٣٢٠، وهي قصة دينية شُرط فيها اقتطاع بضعة من اللحم من غير أن تراق قطرة من الدم . ولعل مرد هذا الجزء القاسى إلى القانون الرومانى العنيف الذى يعطى الدائن حق اقتطاع فلذة من لحم المدين ولقد ظهرت قبل شكسبير قصص لا بأس بعددها تروى فيها حكاية الرطل من اللحم البشرى كالقصة التى كتبها بالفرنسية « . ألكسندر سلفاين » وترجمها إلى الإنجليزية « L'P London » سنة ١٥٩٦ . ولعل أقرب هذه الحكايات شهاً بحكاية شكسبير فى مسرحيته تاجر البندقية هى حكاية «Pecorone» التى أوردها « Giovanni Fiorention » فى مجموعته القصصية سنة ١٣٧٨ - أى بعد وفاة الكاتب الإيطالى الشهير « بوكاسيو » بثلاث سنوات .

أما حكاية هرب جسيكا بنت شيلوك بعد أن سرقت بضعة من مال أبيها وجواهره فيمكن أن ترتد إلى أصل إيطالى فى القرن الرابع عشر، وذلك فى رواية نوفلتيونو لسالرنو، فهى تحدثنا عن ابنة ثرى بخيل من أهل نابلى، سرقت جواهر أبيها واتخذت سبيلها فى الأرض هرباً مع عاشقها . . . على أنها بعد ذلك حكاية شائعة فى ممالك الأرض جميعاً .

على أن الفكرة الرئيسية فى رواية « تاجر البندقية » يقال إنها مأخوذة من « ملهاة البندقية » التى يزعم « Fleay » أنها الأثر الأدبى الضائع للكاتب Dekker والتى كان اسمها « يهودى البندقية » . ومهما

يكن من أمر مصادر الحكايات التي اشتملت عليها مسرحية شكسبير فإن شاعر الإنسانية الذي لا يداني قد خلع عليها من عبقريته ومن روحه ومن سحر لغته ما جعلها رائعة عالمية فوق مناط الحكايات والأقاصيص •

البناء المسرحي ووحدة الزمان والمكان

إذا كنا نسلم بالعناصر الرئيسية التي وضعها أهل الخبرة للمسرح بعد طويل من التجارب ، والتي بنوها على المفتح ، وابتداء العقدة ، ونقطة التحول ، وانحدار نحو الختام ، والخاتمة ، فإنه من المسلم به أن خاتمة المأساة تنتهي بصراع البطل ضد قوات معادية ، وينتهي الصراع بهزيمة البطل ، على حين ينتهي في الملهاة بانتصاره . وعلى ضوء هذه المبادئ نقول : إن « مسرحية تاجر البندقية » هي ملهاة يتصرف فيها أنطونيو على كلى الصعوبات التي اعترضت سبيله . فعلى حين تتأزم الأمور أمام أنطونيو ويعجز عن الوفاء بدين شيلوك في مواعده ، وتأتيه أخبار الحسارة لعروضه وأمواله وسفنه في الساعة التي يفرح فيها باسانيو بزواجه من بورسيا - على حين يحدث ذلك إذا بالمحاكمة تبدأ ، وإذا بالفتاة الثرية العاقلة بورسيا تحول القانون في براءة وحلق إلى صدر شيلوك ، فتختلط المأساة الفرعية العارضة بالملهاة الأصلية ، وينتهي ذلك كله بالنهاية السعيدة على نفحات الموسيقى ، وفي سفور القصر المطل المضيء على قصر بورسيا بمدينة بلمونت . ولقد نحى شكسبير وحدة الزمان والمكان جانباً في هذه المسرحية ،

وجرى على وحدة أكل وأتم - هي وحدة الحياة . وبذلك سار على طريقة ابتداعية خالف بها المذهب الاتباعي القديم « الكلاسيكي » .
وتستغرق هذه المسرحية في مقياس الزمان ربع عام تدور فيه الأحداث مدارها ، ولكنها تبدو لنا حين نسمعها أو نقرأها أنها تدور في ساعات قصار على حين تنتقل المشاهد من مدينة البندقية إلى مدينة بامونت طرداً وعكساً . وهنا يحق لنا أن نقول مع القائلين : إن الوقت عند شكسبير مستقل كل الاستقلال ، أو غنى كل الغنى عن الساعات والتقويم . . .

أشخاص المسرحية

ليس مبالغة في القول أن نقول إن مسرحية « تاجر البندقية » غنية غنى وافراً في شخصياتها . وهو غنى ليس في الكم وحده ، ولكنه يضيف إلى الكيف ما يجعل هذه الرائعة واحدة من أجمل روائع شكسبير . ولقد قسم الشاعر الإنساني أشخاص روايته إلى مجموعات متشابهة أو غير متشابهة ولكنها محكمة الاختيار إلى حد يجعل كل واحدة منها قائمة واضحة المعالم ، ثابتة في المكان الذي اختاره لها المؤلف ، بحيث لا يختلف وضع مع وضع ، ولا يتنافر شيء مع شيء . . . فهناك مجموعة يتوسط عقدها تاجر البندقية - أنطونيو - وهناك مجموعة يتوسطها شيلرك ، ومجموعة تتوسطها الفتاة الثرية العاقلة الحصيفة بورسيا . على أنه ليس من الإنصاف ونحن في معرض تحليل شخصيات المسرحية أن نغفل الإشارة إلى جسيكا بنت شيلرك وهي

التي شغفها الفتي المسيحي لورنزو حباً، فهربت معه بما حملته من أموال أبيها البخيل وجواهره . وهما شخصان ذوا دورين عارضين في الرواية ، إلا أنهما يكبران شيئاً فشيئاً في خلال المسرحية حتى يبدوا من أهم عناصرها . ولنبدأ بشخصية :

أنطونيو « Antonio »

هو شخصية هامة جذابة في المسرحية، وفي طيبة طبعه وسلامة نفسه ما يجعل منه بطلاً طيباً إذا ووزن بمقابله شيلوك . ويبدو على ملامح وجهه الطيب ما يبين عن أنه مشغل النفس بهوم ثقيل ، فهو حزين في أول مشهد من المسرحية حزناً لم يستطع أن يكشف عن أسبابه لصديقيه سالارينو وسالانيو، فقد ظنا أن به لوعة من وجد أو خوفاً من توقع خسارة في تجارته. إلا أن سمات الكتابة البادية غالباً على وجهه لم تستطع أن تغير شيئاً من كرم نفسه ورفيع صفاته . فهو جواد بأعز ما يملك ، لا يضمن بملخوور التلاد على أصدقائه ، وهو صبور في المحن ، عاف عن الزلات ، حرّ حين يحب ، وصريح حين يكره ، وهو يحب المال لا للذات المال ، ولكن ليعين به صديقاً أو يسعف به مكروباً . ألم تدفعه المروعة إلى أن يضمن صديقه ياسانيو عند اليهودي شيلوك الذي أقرضه المال على شرط أن يأخذ رطل لحم من جسمه إذا فات موعد وفاء الدين ولم يستطع المدين وفاء ؟ وقد ظل أنطونيو طول المسرحية طيباً من جميع نواحيه ، إلا أنه كان شديد الوطأة

في حملاته اللسانية على شيلوك اليهودى حين كان ينعته بأشنع الأوصاف وأقذر النعوت ، وحين أعلن أمام دوق البندقية أنه تها صابراً لما تزويه به نفس شيلوك الحبيثة من الرزايا . ولقد استسلم أنطونيو للمصير الذى يريده به اليهودى من قطع رطل من اللحم من جسمه ، وتمنى - في غير سخط ولا جزع - لو حضر صديقه باسانيو ليرى بعينه كيف جاد بحياته في سبيل الوفاء بدينه . وهنا يتغير موقف المحاصمة والمحاكمة بين شيلوك وأنطونيو حينما تتولى بورسيا الدفاع عن أنطونيو ، فتجعل من حرفية القانون سلاحاً ضد شيلوك بدلا من أن يكون سلاحاً في يديه . وتنجلى هذه الغمرات كلها ضد أنطونيو عن انتصاره وانتصار صديقه باسانيو ، كما تنجلى عن سلامة سفنه التى أشيع أنها كانت قد صارت إلى هلاك في عرض البحار . .

« Bassanio » باسانيو

هو صديق أنطونيو الذى اقترض له المال بضمانته من شيلوك وكان باسانيو بحاجة إلى المال ليتقدم به إلى خطبة الفتاة الوارثة للحميلة بورسيا . فكل محنة لقيها أنطونيو كانت من أجل باسانيو . وكان كل شىء في المسرحية ينبئ بأن باسانيو هو المقدر أن يكون زوجاً لبورسيا الحميلة على الرغم من ازدحام الخطاب من الأمراء على بابها . فجاء اقتراع الصناديق من نصيبه مؤيداً لاختيار بورسيا لو كان لها وحدها الخيار . فهو فتى سرى النفس نظيف السلوك . وهو فوق ذلك رقيق الحس . ما كاد يعلم - وهو

في مباحج العرس بزواجه من بورسيا - بأزمة أنطونيو وإلحاح اليهودى عليه بتنفيذ الشرط في اقتطاع رطل اللحم من جسمه، حتى ترك زوجه الحميلة في ليلة عرسها وخف إلى مكان المحاكاة لعله يفتديه أو يسعفه بالمال الكثير الذى أمدته به بورسيا لو أمعن اليهودى شيلوك وغالى في المطالبة بمال بدلا من رطل اللحم . . .

بورسيا « Portia »

هى الفتاة الوارثة الثرية ، التى أراد لها أبوها قبل أن يموت أن تتزوج عن طريق الاقتراع على صناديق ثلاثة : أحدها ذهبى ، والثانى فضى ، والثالث رصاصى . فلم يكن اختيار بعلمها لها ، وإنما لما تحكم به القرعة بين الخطاب الكثر الذين تقدموا لخطبتها . وقد كانت ترى مما يشق عليها أن تكون فتاة عاقلة مثلها غير قادرة على قبول من تحب ، أو رفض من لا تحب . وكأنما الأقدار السعيدة كانت تهيئ لها السعادة حينما وقع اختيار الشاب باسانيو على الصندوق الرصاصى الرابع . ولكن باسانيو فقير لا يقوى على منافسة الخطاب الأثرياء ، فلجأ إلى صديقه أنطونيو - تاجر البندقية - ليقرضه المال . ولكن أنطونيو - فى عمرة من الضيق المالى - لجأ إلى اليهودى شيلوك الجشع الحقود . وما كادت بورسيا تعلم بمحنة أنطونيو حين عجز عن وفاء الدين فى أجله ، حتى همت لتنقذ أنطونيو من تصميم اليهودى شيلوك على تنفيذ الشرط القاضى باقتطاع رطل لحم من جسده . إن أنطونيو

قد أسلف لها يداً غير مباشرة حين ضمن القرض الذى أخذه باسانيو ليتقدم إلى خطبتها ، فكيف تقصر الآن عن معونته في النكبة التى منى بها أمام شيلوك ؟ لقد تنكرت في زى محام شاب لتدافع عن أنطونيو وتنفذ حياته من يد اليهودى العنيد الحقود . ولقد كان موقعها في المدافعة أمام دوق البندقية موقفاً اختلط فيه الشعر بالفلسفة . وامتزج فيه الوقار الرصين بالسخرية اللاذعة . وما أروعها وهي تلجأ إلى لغة الشعر لتتحدث عن الرحمة حديثاً تحاول أن تلين به قلب اليهودى الذى قدّم من صخر ! وما أذكاهما وهي تحول القانون ضد شيلوك ! فإنها اشترطت عليه أن يقطع اللحم من جسم أنطونيو بلا قطرة من دم ، وإلا قضى عليه قانون البندقية بمصادرة أمواله وأملاكه ، وهنا اضطر شيلوك - مكرهاً - إلى أن يرضى بأن يرد إليه أصل قرضه من غير تنفيذ لشرط اللحم ! ولكنه في النهاية خسر قرضه ، وخسر ماله كله الذى ذهب إلى ابنته جسيكا وزوجها لورنزو ولقد بلغ من حكمة بورسيا أن الكاتبة المسز جايمسون قالت : « إن شكسبير هو الفنان الوحيد - بجانب الطبيعة - الذى يستطيع أن يجعل النساء عاقلات حكيماً من غير حاجة إلى أن يجعل منهن رجالات » .

شيلوك Shylock

إذا كانت بورسيا هي جمال هذه المسرحية فإن شيلوك اليهودى الجشع هو سر القوة الكامنة فيها . وقد حاول شكسبير أن يجمع كل خصائص

اليهود وصفاتهم العامة في شخصية شيلرك ، الذي يمثل الشعب اليهودي
أصدق تمثيل . ففيه منهم تلك الكبرياء العاتية التي لم تقف لحظة خلال
العصور عن أن تثير العداوات ، وفيه ذلك الشح المفرط الذي يقود إلى
الخشع البغيض ، وفيه منهم ذلك الضعف والذلة . فهو في الحق نموذج من
آلام اليهود وكراهيتهم . وقد كان هو نفسه موضعاً للازدراء الشديد
والإهانات المتصلة من المحيطين به من مسيحيي البندقية .

وكان له بينهم أعداء يرى نفسه أكبر من مصالحهم ، وإن كان
أضعف من مقاومتهم . على أنه فرق ذلك لم يكن في يهوديته بأكثر منه
في شيلوكيته فله من السمات الخاصة ما يزيد على سمات قومه . . .

ولقد صورته شكسبير حتموداً منتقماً أكثر منه طماعاً جشعاً ؛ فإن
الحقد كان يجري في مفاصله مجرى الدم . . . فقد أنساه حقد حبه المال
وهو يخاصم أنطونيو أمام دوق البندقية ، حتى لقد رفض أن يدفع له دينه
أضعافاً مضاعفة لقاء أن يشفى حقدته باقتطاع رطل من اللحم من جسد
أنطونيو . وكل ذنب أنطونيو لديه أنه رجل تجمعت فيه أكرم خلال
المسيحية — أو الإنسانية — فهو مساح كريم منجد مغيث للملهوف لا يقرض
بالرأب مطلقاً ولا يتعامل به . حتى لقد قال عنه الناقد الأديب «H.N. Hudson» :
« لما كان الخشع والحرص هما هوى نفسه الذي تحكم فيه فإن الفضائل
المسيحية التي لا تتفق مع ذلك بدت في عينيه من أكبر الذنوب » .

ولقد بلغت شهوة المال والحرص عند شيلوك حدّاً جعلت منه شخصاً

بليد الحس ، وضع النفس . فلم يحزنه شيء حينما فرت ابنته جسيكا مع عاشقها المسيحي لورنزو أكثر من حزنه على المال الذي هربت به
 كأن الشرف عنده شيء . لا اعتبار له بجانب المال . ويقول حينما علم نبأ هروبها بالمال والمصوغ : « من لي بابنتي ميتة عند قدمي ، والماستان في أذنيها ؟ » .

وبلغ من بلاهة حسه أنه ألفت أن يسمع أفحش الطعن فيه فلا يتحرك ولا يثور ، ولا يبدي أية من آيات الغضب . وكثيراً ما ندده به أنطونيو وباسانيو وأصدقائهما فلم يبدُ عليه أنه سمع من واحد منهم كلمة ويتمتع شيلوك - لو صح هذا التعبير - بنصيب كبير من المكر والخبيث الذي بدا جلياً في المحاورة بينه وبين أنطونيو وباسانيو ، حينما جاءه لطلب القرض منه . كما بدا جلياً في المحاورة بينه وبين سالانيو وسالارينو حينما فات أجل الدين وحق تنفيذ الشرط القاضى على أنطونيو باقتطاع رطل من لحم جسده .
 وإذا جاز لنا هنا أن نعود مرة أخرى إلى حقد شيلوك فإنه كان حاقداً على المسيحية بحكم يهوديته ؛ وكان حاقداً على أنطونيو لأنه كان يسخر منه من ناحية ، ولأنه كان تاجراً شريفاً نجداً غير مراب ولا حريص على مال ؛ وكان حاقداً على لورنزو المسيحي صديق باسانيو لأنه أغرى ابنته جسيكا بمغريات الحب فهربت معه من بيت أبيها شيلوك حاملة معها ما حملت من ذهبه ومصوغاته .

ولقد ضاع ذلك اليهودى التاسع في نهاية الخصومة بينه وبين أنطونيو

ضياعاً مادياً لا قيامة له بعده... بفضل براعة بورسيا في الدفاع . فضاعت
أمواله كلها التي أنفق الساعات في جمعها لتذهب إلى لورنزو المسيحي
الذي تزوج بابنته جسيكا . وعاد من صفقة القرض التي كان يحسبها رابحة
يأفدح خسران . . .

ولقد بلغ من خطر الدور الذي قام به شيلوك أن المسرحية كادت
تسمى باسمه بدلا من اسم أنطونيو تاجر البندقية . فقد وجد في أحد
السجلات القديمة « Stationers Registers » تعريف بهذه المسرحية
هكذا : « هذا كتاب تاجر البندقية ، أو كما يسمى باسم آخر : يهودى
البندقية » . ولقد يدلنا هذا النص الوثيق على أن شكسبير كان في شك من
أن يسمى مسرحيته بإحدى التسميتين نسبة إلى أنطونيو أو شيلوك . وأياً
ما كان الأمر فإن شيلوك هو « شخصية » هذه المسرحية ، وما عداه من
الشخصيات فتبع له . ولكن أنطونيو من ناحية الدراما هو شخصية هذه
الرواية ، فلولا ما كان لشيلوك ظهور . . .

جسيكا « Jessica »

ابنة شيلوك اليهودى ، ولكنها لا تبدو في أى موقف من مواقفها في
المسرحية على صورة تنفر القارئ أو المشاهد . فقد اجتمع لها من اللطف
والوداعة والجمال ما ينسبنا كثيراً من سيئات أبيها ، حتى لقد يظن الظان
أنها ليست من طينته ، ولا من ديانته . فهي كما يقول سالارينو مخاطباً

شيلوك بعد حادثة هربها : « بين دمك ودمها من البون مثل ما يختلف
النبيد الأحمر عن النبيد الأبيض ا » .

على أن فرار جسيكا في ذاته مع عشيقها المسيحي لورنزو قد
يحملنا على فرض احتمالين لا ثالث لهما: فلما أن تكون الفتاة فتاة غير طيبة ،
ولما أن يكون أبوها غير طيب . وخاصة بعد أن سرقت معها جمهرة من
مال أبيها ، ولكننا حين نلتمس لها العذر في الفرار من بيت ضرب الشح
والحرص والتقتير عليه بجرانه ، فإننا لانعفيها من بعض الاوم على سلوكها هذا .
ومن عجب أن هذه الفتاة المحرومة قد آلت إليها أموال أبيها شيلوك بعد أن
خسر قضيته مع أنطونيو . وصار مصيداً بعد أن كان طالب صيد . .

لورنزو « Lorenzo »

هو غاشق جسيكا ابنة شيلوك اليهودي . وقد هرب بها في ليلة كان
أبوها فيها مدعواً إلى حفل تنكري . وساعده على الهرب بها وبالمال الذي
حملته جراتيانو وسالارينو ، وهما من أصدقاء أنطونيو وباسانيو ، وكانما
كان شيلوك يحس بما سيحدث تلك الليلة ، فقد نحاطب ابنته موصياً إياها
بتغليق الأبواب وإحكامها وحذرهما أن تذهب إلى النافذة لتطل منها ... ومن
عجب أن تهرب جسيكا مع لورنزو إلى بيت بورسيا وزوجها باسانيو ،
وأن يتولى العاشقان الهاربان الإشراف على هذا القصر حتى تعود بورسيا منجزة
مهمة دفاعها النبيل عن أنطونيو وهي متنكرة في بزة فتي من أقدر المحامين .

بقيت بعد هذا شخصيات جراتيانو وسالارينو وهما من أصدقاء أنطونيو وباسانيو. وقد بلغ بهما صدق المودة وخلوص الحب حداً يضمنهما في إطار فريد نادر من الصداقة التي تجلي مثلها الرفيع في أنطونيو. أما طويلال اليهودى صديق شيلوك فهو شخصية ثانوية الأهمية ، ولكنه على كل حال كان يحمل إلى شيلوك أطراف الأخبار وأسوأها ... حمل إليه نبأ خسارة سفينة من سفن أنطونيو، كما حمل إليه في اللحظة عينها نبأ عن ابنته الهاربة جسيكا أنها أنفقت ثمانين دوقية ذهبية في ليلة واحدة بمدينة جنوة ويا للمفارقة بين النبأين !

أما شخصية لنسلو جوبو «Lancelot Gobbo» فهي شخصية تعتمد على عنصر الضحك والغرابة . لقد كان في خدمة شيلوك اليهودى ، ولكنه وجد من سوء عشرته مالا يُطعم بالبقاء عندهم ، فتركه إلى خدمة ياسانيو . والسبق أن بيت شيلوك كان يشبه قطعة من الجحيم ... ولقد عبرت عن ذلك جسيكا ابنة شيلوك حين خاطبت لنسلو جوبو قائلة : « أنا متكدرة لتركك أبى ، وستكون لك وحشة في هذا البيت الجهنمي » . ولقد انتقل لنسلو إلى بيت ياسانيو - أو إلى قصر بورسيا - حيث أوت إليه جسيكا مع عشيقها وزوجها لورنزو ، وحيث صارت إليها ثروة أبيها شيلوك وأمواله الواسعة

مقدمة للمعرب

أصل هذه القصة أحداثثة ، وما أصغرهما من أحداثثة ، جرت على الألسنة في إيطاليا وتداولتها نقلا عنها سائر الأمم : محصلها أن فتاة ذات مال وافر وجمال باهر وعقل كالكوكب الزاهر ، كان قد مات عنها أبواها ، فخطبها إلى نفسها ملك مراکش وأمير أراغون في جملة النبهاء ممن خطبها . ولكنها مالت إلى شاب رقيق الحال من مسقط رأسها ومن بني جنسها ، استدان المال الذي أنفقه في الزنى إليها بضمآن صديق له فقير مثله ، رهن لليهودى الذى أقرض ذلك المال رطلا من لحم صدره . فاستخارت الفتاة الله في مستقبلها ، وناطت أمرها بثلاثة صناديق : ذهبى وفضى وورصاصى ، جعلت في الأول منها جمجمة ميت ، وفي الثانى رأس هزأة أبله ، وفي الثالث رسمها ، فن اختار من الخطاب الصندوق الذى فيه رسمها أصبحت له حليمة . وقد جاء في هذه الحكاية ما يجيء عادة في كل حكاية من أمثالها : أن حبيب الفتاة هو الذى أطم الصواب ، ففرحت به ، واحتمالت لإنقاذ صديقه من تبعه ضيانه لليهودى ، بأن تزيت بزى عالم قانونى ، وقضت على المرابى .

طالع شكسبير هذه الأسطورة من أساطير السذج في تلك الأيام ، فما أجالها إجمالة في ذهنه المبتدع حتى بدأ بها فصورها جملة في أحسن

ظروف الحياة زماناً ومكاناً على كل وجوهها ، وفيد أوابد الشكل من كل نواحي الفن وفي كل مراميه ، جامعاً في ذلك كافة بين المبكى والمضحك جمعاً خلافاً غريباً ، مازحاً ما يغضب وما يرضى أو ما يسوء وما يسرّ مزجاً رائعاً عجيباً .

اقرأ - رعاك الله - هذه القصة على النحو الذي نحاه شكسبير في جعلها حكاية عن الحقيقة تتبين عجباً عجائباً . وأي عجب عجاب كإخراجه من تلك الأنقاض المتداعية المتدابرة غير المتأسكة أنقاض الأسطورة العتيقة صرحاً أيّداً مشيداً ليس في جملته ولا في تفصيله إلا أفانين صادقة من الحوادث الإنسانية بمقدماتها ونتائجها التي هي أبدأ قديمة وأبدأ جديدة .

الآن أصبحت تلك القصة ولا موضع فيها لسؤال السائل عن شيء يتم ما فيها من الدروس الاجتماعية المرتبطة بموضوعها وبكل ما يتحرك في دائرته . أصبحت ولا محل فيها لتمنى من يتمنى حلة صحيحة للحديث مسوق ، أو لفظة مناسبة لمقام ذي بال ، أو عبارة أو إشارة كان يحسن أن توجد في مكان معلوم .

فإذا فرغنا من النظر إلى جملة القصة فهلم نقاب الطرف في التفصيل المعنوي :

نخذ الأشخاص وتبين كنه كل منها ترآية شكسبير الكبرى : آية تعمقه إلى كنه الإنسانية في كل حي من أحيائها على اختلاف البيئات ،

ما تتصور حادثة إنسانية شعرية، معطياً إياها من الجدة والندورة ما صيرها من خرافة عامة تقصها العجائز على أحفادها وحفائدها إلى رواية تمثيلية من أسمى الروائع التي جادت بها قرائح المبدعين في هذا الفن .
ثم طفق يهيئ أجزاءها ويرتب مشوقاتها ويصل بالأسباب الفكرية الدقيقة ما بين أوائلها وغاياتها ؛ وههنا يجد المطالع شخصاً يتمثل به كل قصد بحيث لو بحث في الإنس كلهم عن أجمع من هذا الشخص لمقومات الصفة التي أراد المؤلف أن يظهره متصفاً بها لما وجد أتم مما هو في تقدير شكسبير .

وما بالك بعد هذا بالكساء اللفظي الذي كانت أزواج تلك المعاني خليقة أن تكتسى به ! إن المعجم على ضخامته وسعته الطائلة لتضائل ومتقارب الجوانب ومتحفز الأصداء للإجابة بين يدي شكسبير ، كالطبيعة بأسرها حين يصور ، أو كالنفس الإنسانية في أقصى حدودها جلالةً أو دقةً حين يتخيل ، أو كالقلوب المتأثرة الحفاقة حين ينصت إليها ويجمع من حساساتها مادة حكمه ليقرر .

ما ازددت قراءة منظومة من منظومات هذا الرجل ، قصيدة فلة كانت أم رواية ، سؤالاً في عرض محادثة بين شخصين أم جواباً ، كلمة جدّ ألقى بها في ملامة أم كلمة مزاح ، إلا ازددت له إكباراً . وناهيك منه بشاعر سمت به العبقرية إلى أوج جلالها ، جعل القصة التمثيلية مجالاً غير محدود للوصف ، فبين بها أحوال النفس على اختلافها ، وقلب

وتعدد المناشئ والصفات ، وتنوع المعاش والمكروهات والمشتبهات .
 نجد الطمع فتقول لا يصور بأدق من هذا ؛ نجد الجبن فتقول لو تمثل
 رجلاً لكان هذا ؛ تلمح الحقد فتقول كأننى بفلان وفلان وفلان وقد
 كشف كل عن جزء من الحقد الذى فى قلبه فاجتمع من الثلاثة الأجزاء
 هذا النوع التام من الحقد بل النوع الأتم : وهكدا الحكم فى كل
 ما تصدى شكسير لإظهاره بمظهره البشرى .

إذا بلغ الوفاء من الصديق للصديق أسعى مبالغته التى شهدناها ،
 أو جاءنا بسيرها التاريخ من عهد أرسطاطاليس الذى يؤثر عنه تحييد أرقى
 معنى فى معانى الوداد ، فهل يزيد شيئاً على ما جعله شكسير فى نفس
 « أنطونيو » من معجزة الوفاء وأجراه على لسانه من بديعها ؟

إليك ما يقوله حين يستعين به صاحبه على اقتراض المال الذى به
 يقرب إلى مالكة لبه ، ويتوصل إلى مطمح نظره ومطمع قلبه :
 « أنطونيو : ما كان أغناك — على علمك بى — عن إضاعة الوقت فى
 الاحتيال للاستعانة بمودتى . إنك بارتيابك فى خلوصى لك لتسوءنى أكثر
 مما لو أضعت على ثروتى بأسرها . قل ما ترجوه منى فيما تعرفنى قادراً
 عليه فقد أجبت . تكلم » .

ثم إليك ما يقوله أنطونيو حين يشترط اليهودى إقراراً منه بأنه إذا لم
 يف بالدين المطلوب فى يوم كذا بمكان كذا أوجب لليهودى عليه اقتطاع
 رطل من لحمه فى المكان الذى يختاره من جسمه ، فقد كان أول جوابه

هذه الكلمات التي هي من أكبر ما قيل في التفدية للصديق بالنفس والنفيس : « أوافق بارتياح على هذا الشرط » .
ثم إليك ما يقوله أنطونيو مودعاً ، وقد وقف من الموت قيد خطوة ،
وبقى له من العمر فسحة دقيقة أو ثانية لا يحسب لها ثانية ، ويموت عندئذ
من أجل صديقه أبشع الميتات وأشدّها إيلاًماً للتصور ، فضلاً عن الجثمان
الحى ، سامعاً ورائياً ، شحذ المدينة على نعل اليهودى الذى يتأهب لقتله :
« أنطونيو : شىء غير كثير . أنا متأهب وصابر . هات يدك
يا باسانيو وتلقّ وداعى . لا يحزنك أن صرت هذا المصير من أجلك ، فإن
المقادير رفقت بى رفقاً ليس من مألوفها فى مثل مصابى . فن مألوفها أن
تبقى من فقد جاهه حياً غائر العينين مثقل الجبين بالغضون ، يتوقع
شيخوخة البؤس والفاقة . أما أنا فإنها أنقلتنى من هذا العذاب الطويل ،
وغاية ما أرجو أن تذكرنى بخير لدى عروسك المشرفة ، وتخبرها كيف
كانت نهاية أنطونيو وتصف مبلغ حبه لك ، وتبشها بذك ما ألم بك حين
شهدت ميتتى ، فإذا فرغت من ذلك ، أن تسألها " ألم يكن لى صديق ؟ "
ثم أن لا تعاتب نفسك على وفاة ذلك الصديق فإنه هو غير آسف على
إبرائك من دينك مع علمه أن مدينة اليهودى لو انحرفت أو تمادت قليلاً
لذهبت بالقلب كله فداء لك » .

فإذا انتقلنا إلى تمثيل الجمال أصلح ما يكون لتزدان به الزوج الصالحة
وأبهج ما يكون رسماً حسيماً للكمال ، فهل يتهاى لنا ملك فى شكل بورسيا

وهي تقول لعاشقها الذي وفق فصار زوجها لها :

« بورسيا : أيها الهمام باسانيو ، هأنذا لديك كما أنا ، ولولا أمر
جددته في نفسي لاجتزأت بالنعم التي منحها ولم أستزد . ولكنني غدوت
متمنية من أجلك لو رجحت ستين مرة على ما أعادل اليوم ، ولو كنت
ألف مرة أجمل ، وعشرة آلاف مرة أعظم جاهاً ، فتكبر حظوتي في
عينيك ، ولو كان لي من الفضائل والمحاسن والأموال والأصحاب أعداد
لا تتفد . إلا أنني — ولا فخر — غير خالية من شيء يقدر بقدر ، وإنما
أمامك فتاة معصرة نقية غرة تعتد من لطف العناية بها كونها لم تزل لدنة
صالحة للتقويم ، ومن سعد طالعها أنها ليست من الجهل بحيث تستعصى
على التعليم ، ومن تمام نعمائها أن عقلها طبع يدعوها إلى إلقاء زماءها
عن رضى بين يديك والإقرار عن خضوع بأنك سيدها وأميرها ومليكتها .
فأنا وكل ما لي قد أصبحنا لك اليوم . كان قبلا هذا القصر المشيد قصرى ،
وكنت « ولاة خدي وحشمى ، وكان بيدي قياد نفسي . أما الآن فالدار
والتبع والمتبوعة في تصريف بنائك يا ولي أمرى » .

كل أولئك عجب ، وإن عند شكسبير لأعجب : هذا شيلوخ
اليهودى المطماع ، المرابى ، الحريص إلى التقدير ، الذى لا تسخو نفسه
« بالدوق » ينفقه في اقتناء الدواء إذا مرض وأوشكت العلة أن تقضى عليه ،
قد تأصل بغض النصرانية من نفسه حتى إنك لتراه على النقيضين في آن :
يثور به الحرص فيبكي ، وأى بكاء ، على أعلاق سرقها ابنته وفرت به

مع شاب مسيحي ، ثم يشب به عامل الحقن الديني فيتغلب فيه على ذلك العامل ويحركه إلى التخلي عن ثلاثة آلاف دوق ذهباً ، بل عن ستة آلاف ، بل عن اثني عشر ألفاً تعرض عليه فداء ، فيأبأها كأنها أقل من درهم ايتتم من أنطونيو النصراني .

وهل في إظهار التنازع بين الإحساسين المتضادين في النفس الواحدة أبلغ من هذه العبرة التي جاء بها شكسبير بين الجند والجزل ؟ طالعوا في دقائق معدودة هذا الحوار بين شياوخ وبين صديقه وأخيه في الدين طوبال الذي ناط به شياوخ البحث عن ابنته الفارقة :

« شياوخ : ما وراءك يا طوبال ؟ أوجدت ابنتي في جنوا ؟
طوبال : خوطبت عنها في أماكن جمعة ، ولكنني لم أتوصل إلى عرفان موضعها .

شياوخ : يا للخسران ! اختلست مني ألماسة بيعت على في فرنكفورت بألتي دوق . الآن قد طفقت اللعنة تحمل على أمتنا حلولا لم أشعر به من قبل . ألفا دوق فقدتها عدا مصوغات أخر غالية وأي غلاء . من لي بابنتي ميتة عند قدمي والألماستان في أذنيها ؟ من لي بها ممدودة هنا أمامي على وشك أن تحمل في نعش وتحمل معها اللوقيات ، حجباً ! أما من نبأ عنها - هكلدا - ؟ ويعلم الله كل ما سأنفقه حتى أجد تلك الضالة خسارة فوق خسارة . . .

طوبال : لست فدا في تعرضك للنواب . إن أنطونيو قد فقد إحدى سفائنه

- شيلوخ : حمداً لله حمداً لله . أيقين ؟ أيقين ؟
 طوبال : كلمت نواتية نجوا من الفرق .
 شيلوخ : وحمداً لك يا صديق طوبال . نعمت الأخبار ، نعمت
 الأخبار .
 طوبال : سمعت أن كريمتك أنفقت ثمانين دوقياً في ليلة واحدة يجنوا .
 شيلوخ : تطمنى بخنجر في قلبي ! لن يعود إلى ذهبي .
 طوبال : في رجوعي إلى البندقية حدثت أن أنطونيو لا بد له من
 التضليس .
 شيلوخ : يا فرحاً بما قالوا . سأعذبه . سأنكل به . . يا للسرور !
 طوبال : أراني أحدهم خاتماً نفخته كريمتك به لتحلية قرد أعجبها .
 شيلوخ : ويحها من ناعسة ! تقتلني يا طوبال . تلك زهرجتي التي
 اشتريتها من ليحا أيام عزويتي ، ولو أعطيت فرقة من
 القردة لما أعطيتها .
 أما من جهة العبارة وفصاحتها والديباجة وروعها فليس في عزمي
 بالبداهة أن أجيء باستشهادات في اللغة الإنجليزية لتبين براعة شكسبير
 في استخدام لغته على ألف نحو لا يجارى فيه للتعبير عما يجول في رأسه أو
 ينبض به قلبه . وإنما سأحاول أن أظهر تلك البراعة بأقرب ما تتسنى
 محاكاة النقل للأصل ، فيشعر متصفح الكلام وهو يقرؤه عربياً مبيناً أن
 شكسبير هو الذي يتكلم .

خذ مثلاً من أمثال تتجدد في كل صفحة وتتعدد في كل مقام :
كلام برسيا وهي متكرة في زى قاض تصف الرحمة لتستعطف الإسرائيل
شيلوخ . أقبل في الرحمة أفصح وأجل من كلامها ؟

« بورسيا : جمال الرحمة أن تكون خياراً لا اضطراراً . فهي كماء السماء
ينهمل بالخير ويهطل باليمن ، عفواً ممن وهب ، وبركة لمن كسب ، فإذا
كانت الرحمة عفواً صادراً عن مقدرة فهناك بهاء قدرتها وازدهاء جلالها .
أما تراها إذا نحلى بها الملك القائم كانت لهامة أزين من التاج ، وفي يده
أقوى من صولجان الأمر والنهى ، وكان عرشها المنصوص في قلبه أعظم
تمكيناً له من عرشه الذى يستوى عليه ، لأنها من صفات الله عز وجل ،
ولا يكون السلطان الدنيوى أقرب شياً إلى السلطان العلوى منه إذ يلفظ
العدل بالرحمة . فيا أيها اليهودى مهما يكن من استنادك في دعواك إلى
العدل فلا تنس أن الله لو عامل كلاً منا بمحض العدل لما بات إنسان على
أدنى رجاء بالمغفرة والنجاة . لهذا نستغفر الله كل يوم في أديتنا . وكما
نستميحه العفو يجب علينا أن نكون من العاقين عن الناس . »

وإذا كنت قد آثرت موضوعاً جليلاً للاستشهاد به هنا فلا يؤخذ من
ذلك أن كل لفظة جعلها شكسبير ، حتى في نطق أحقر أشخاصه وأقلهم
شأناً ، ليست هي اللفظة التي تتعين دون سواها لأداء غرضه مقوى بها كما
هي طريقته في الأداء التمثيلي مائة ضعف ، على اعتبار أنه إنما يخاطب بها
العالمين لا فئة من الناس دون الأخرى .

أشخاص الرواية

جوبو الهرم والد لنسلو	دوج البندقية
سالريو رسول من البندقية	الأمير المراكشى
ليوناردو خادم باسانيو	أمير أراغون
بلتزار { أجيران لبورسيا	أنطونيو تاجر البندقية
ستفانو }	باسانيو صديقه
بورسيا وارثة مثرية	سالانيو {
نريسا تابعة لها	سالارينو {
جسيكا بنت شيلوخ	جراتيانو }
أعيان من البندقية	لورنزو عاشق لجسيكا
ضباط دارالحكم	شيلوخ يهودى
سجان	طوبال يهودى صديق لشيلوخ
خدم . . . الخ	لندنسلو جوبو ومضحك فى خدمة شيلوخ

تجرى وقائع هذه الرواية تارة فى البندقية وتارة فى قصر بورسيا بمدينة

بلمنت .

عند هذا الحد أقف في وصف هذه الرواية والتنبيه على شيء من
مزايها . وسيرى المطالع بنفسه من حسناتها في كل فقرة وفي كل رمز
ما تأخذه الدهشة لديه ويخالط عجبه منه الإعجاب به .
إن الغرر في روايات شكسبير ثمان على ما أعتقد ، وهذه إحداهن .
عربتهن جميعاً ، وسأولى تمثيلهن بالطبع ، إذ هن لكل لغة حاجة وزينة ،
فما بالك باللغة العربية وهي مجتمع أبحر البيان وملقى كل حسن أدبي
وإحسان .

تحليل مطران

الفصل الأول

المشهد الأول

منهج في البندقية

« يدخل أنطونيو وسالارينو وسالانيو »

أنطونيو : حقاً لا أعرف لماذا أنا حزين حزناً يُتعبني ، ويشق عليكما فيما أرى . إني لأسائل ضميري من أين جلبت أنا هذه الكآبة ، أو كيف وفدت هي عليّ ، أو في أي مكان صادفتني ، أو من أي غزل نُسجت ، أو تحت أية سماء وكُلدت ، فما أكاد أحير جواباً ، بل أشعر أن بي بلاهة ، وأوشك أن أتكر على نفسي

سالارينو : لا غرو أن يكون عقلك ضارباً في العباب متعقياً بين النواهض والعواثر من الأمواج ، آثارَ مراكبك الضخام التي تتخطر بسواربها البواسق فوق الغمر تنظر الغطاريف الذين لهم السيادة على البحر ، أو تحلق من عل فوق جماهير الصغار المتضائلات من سوقة السفن وعامة المنشآت فيحيينها بإجلال

حين مرورها بين ساجحة ، وكأنها طائرة بأجنحتها الكتانية .
 سالانيو : أيقن يا سيدى أننى لو خاطرت بمالى مثل بخاطرتك لدرجت
 أهوائى تتعقبُ آمالى فى تلك الآفاق البعيدة ، أو لما وجدتنى
 من نشدتنى إلا عاكفاً على فُريعات الأعشاب أستخبرها عن
 مهاب الرياح ، أو مكباً على صُور الأرض أبحثُ عن المرائى
 والأرصفة والموائى ، فأبما شئ تبينت منه أدنى بأس على
 أو ساقى ميت له جزءاً

سالارينو : بل لكان من شأنى فى مثل هذه المجازفة أننى إذا نفخت فى
 حسائى لتبريده ، طفقت أفطن للآفات التى قد تحدثها
 العواصف فى البحر فأرتعد ، وإذا نظرت إلى تناقص المزولة
 خطرتُ على بالى بالخروف والأغوار الرملية وبدت لوهى تلك
 البخارية الكبرى المسماة « بسنت أندرى » جانحة وقد انقلبت
 ساريتها الوسطى إلى ما تحت غاطسها كأنها تقبل رَمَسها .
 وإذا يمت الكنيسة فلاحت لى مبانيها الحجرية المردة
 ذكرت من فورى تلك الصخور الصماء التى إن مست جانباً
 من جوانب فلكى ارتطم بها ، وألقى بما يحمله على وجه المحيط
 فانبثت البقولُ فوق الحباب وانتشر الحريرُ على مناكب
 الأمواج الهدارة ، وانتقلت أنا فى عقبها من مُلابسة الثراء
 إلى مُلابسة الثرى . أفى وسع إنسان أن يرى منى تلك الحالة

فلا يفهم. أن ما يشغل بالي إنما هو هذا الشاغل ؟ قولوا
ما تشاؤون ، أما أنا فلا أحمل هم أنطونيو إلا على عمل
تفكيره في مشحوناته

أنطونيو : لا وصدّقاني . ليست لحسن طالعي كل بضائعي في مونسق
واحد ولا هي موجهة إلى مكان واحد فتكون عرضة للأخطار
بل أزيد كما أنني لم أقامر بكل ثروتي في مضاربات هذه
السنة ، فكأبتي ليست من جانب مشحوناتي

سالانيو : إذن أنت عاشق

أنطونيو : لا ولا

سالانيو : فإن لم تكن عاشقاً لم يبق لنا أن نقول إلا أنك ترح لأنك
غير فرج ، كما أنك بالقياس على هذا لو كنت مبهجاً
لحازلك أن تضحك ، وترقص ، وتبهر بأفك مسرور ،
لأنك لست بمحزون . حلفت بيانوس ذي الوجوه إن
الطبيعة تخلق في بعض ما تخاق أناساً مستغربين ، فئة
منهم لا تفي عيونهم متيقظة على كرمهم كالبيغاوات ،
يضحكون لأول نافع في مزمار يسمعهم لحناً ما ، وفئة
آخرون لا يفتنون مقطيعين جباههم . إذا طرقت آذانهم نكتة
من المستظرفات التي تضحك الحليم — ولو أنه نستور
الحكيم — لم تنفتق لها شفاههم المضمومة عن أدنى ابتسام

« يدخل باسانيو ولورنزو وغراتيانو »

سالانيو : هذا باسانيو قريبك الشريف قادماً يصحب
ولورنزو. نستودعك الله وندعك لرفقة أحسن

سالارينو : لو لم يجرى من هو خير مني ، لأقمت حتى أرى
أنطونيو : ما أشد اعتدادي بمودتك ، لكن شؤونك تدعوك
الفرصة للانصراف إليها

سالارينو : نعم صباحاً يا سادة

باسانيو : إليها يا سادة متى نستأنف مباسطتنا ؟ قوا
لقد أطلتم هجرنا فلإلام هذا الجفاء ؟

سالارينو : متى أذنت أشغالكم باللقاء ، فنحن ممثلو أمركم
« ينصرف سالارينو وسالانيو »

لورنزو : أما وقد التقيت بأنطونيو ياسنيور باسانيو فنحن ن
إلى أن يحين العشاء فعسى ألا تنسى المكان اللذ
فيه

باسانيو : ثقا أنني آت

غراتيانو : ليس في وجهك ما يدل على الصحة يا سنيو
لشد ما تشغلك أمور الدنيا ، ونحسر من اشت
بثقال الهموم . إنك لعل غير ما أعهد فيك من ال

أنطونيو : غراتيانو ، إنما أنظر إلى الدنيا كما يجب أن ينظر إليها باعتبار
 أنها ملعب لكل فيه دور ، أما دورى فكتبت عليه الكتابة
 غراتيانو : وأما الذى أوتره لنفسى فدور الضحكة . ثن علتنى
 غضون الشيخوخة فلا علتنى إلا بين السرور واللهم .
 وخير لى أن تُرْمَضَ الحمرة كبدى من أن تبدد الأشجان
 أنفاسى تصويباً وتصعيداً . علام يرضى الإنسان — إذ الدم
 ما يزال حاراً فى عروقه — أن يتشبه بالمرمر المصنوع منه تمثال
 جده ، فلا ينام إلا مستيقظاً ، ولا يستفيد من تدفق الكتابة
 الصفراء على قلبه سوى داء البرقان . أصغ لى أنطونيو . أنا
 أحبك ، وعن حى مصدر الكلام الذى أسوقه إليك .
 من الناس من وجهه كوجه الماء الراكد به انتفاخٌ ويغشاه
 ما يغشى المستنقعات من مر المراعات ، يصمت عن تدبير
 ليذيع عنه أنه لبيب متبصر متبحر فى الأمور ، فإذا فتح
 فاه فكأنه قائل : « أنا صوت الوحى ، حذار أن تنبح
 الكلاب » . . . أى صفتى أنطونيو ، أعرف غير واحد لم
 يشتهروا بالعقل إلا لعدم نطقهم بشيء ، مع أنهم لو نبسوا
 لآذوا أسماع مجالسهم وعلولوا معاملة المجانين . سنعود إلى
 هذا البحث فيما بعد . انتصح بنصحى ، ولا تحاول أن
 تصيد الشهوة بجباله حزئك فهى صيد الحمقى — تعال

- أيها العزيز لورنزو — « أنطونيو » وداعاً إلى هنية ، سأتم عظمى بعد العشاء .
- لورنزو : أجل سندعكم إلى ميقات العشاء ، ولما كان غراتيانو لا يفسح لى فى الكلام ألبتة فقد رضيت أن أكون واحداً من أولئك الحكماء الصامتين
- غراتيانو : لا جرم أنك لو استمررت على معاشرتى ستين آيتين لتعذر عليك بعدهما أن تعرف صوتك
- أنطونيو : فى رعاية الله . إذا ظلت الحال هكذا ، لم تلبث أن تحولنى إلى ثرارة
- غراتيانو : أولى لك ثم أولى ، فإن الصمت لا يحمد إلا فى اللسان المدخن وفى فم العذراء التى لا تبغ عرضها
- « يخرج غراتيانو ولورنزو »
- أنطونيو : أوجد شىء من المعنى تحت هذا كله ؟
- باسانيو : أذلقُ أهل البندقية لساناً ، يمثل هذه التوافه — غراتيانو — والأسباب التى يبني عليها أقاويله ، أشبه بجبى قمح فى مكيا لين مفعمين بالتبن ، فتش سراة النهار حتى تجدهما ، فإذا وجدتهما فما أقلهما من شىء فى جانب هذا العناء !
- أنطونيو : حسن . حدثنى الآن عن تلك المرأة التى عزمت على

حج بيتها في الخفاء

باسانيو : لا تجهل يا أنطونيو ما كان من تبديدي ثروتي بالتوسع في الإنفاق منها على قلة مواردها ، وما جرّني إليه ذلك من الديون الباهظة ، فهمى الآن — ولا يداخلة شيء من خوف السقوط عن ذلك المقام الرفيع — هو أن أوفى تلك الديون كما يقتضى شرفي ، ومعظمها لك سمحت به عن وداد. فإلى ودادك اليوم أبدأ لتعيني على تحقيق آمالي ، وتملني بما يوصلني إلى أداء ما على

أنطونيو : عرفني آمالك يا صديقي باسانيو ، فإذا كانت شريفة كما أعهدك شريفاً ، فأنت واثق أن مالي وشخصي وكل ما في وسعي رهن خدمتك

باسانيو : عندما كنت طالب علم اتفق لي غير مرة أن أرمي نبلاً فأفقد أثرها ، فإذا أردت الاهتداء إليها رميت أخرى في ناحيتها ، ورقبتها في منطلقها ، ثم مضيت في ذلك المتجه فلم أرجع إلا وقد ظفرت بالنبلين جميعاً . ذلك لمخاطرتي بالثانية بعد الأولى. وقد قصصت عليك هذه السائحة الصبوية ، لأن ما سأذكره لك لا يقل عنها تفاهة. أنا مدين لك بكثير ، ويوشك ما أقرضتني أن يكون مفقوداً ، لأن نزق الصبي حالاً دون تبصرى في عقبي هذا التفريط ، غير

أنتك إذا أسعدتني على إرسال سهم ثان في مري السهم
الأول رقبته بتفطُن، وفزت يقيناً بوجدان السهمين كليهما ،
أو عدت على الأقل بالأخير منهما . وبقيت لك عن الذي
سلف ممتناً شكوراً

أنطونيو : ما كان أغناك - على علمك بي - عن إضاعة الوقت
في الاحتيال للاستعانة بمودتي . إنك بارتياحك في خلوصي
لك لتسومني أكثر مما لو أضعت على ثروتي بأسرها . قل
ما ترجوه مني فيما تعرفني قادراً عليه فقد أجبت . تكلم .

باسانيو : في قصر بلمنت غانية غنية ، وارثةً لجاه كبير ، جمالها
فوق ما تصف الكلم ، وخصالها لانظائرها . راسلني عيونها
في بعض الأوقات ، ساكتةً والهوى يتكلم . يسمونها برسيا
ولا تقل شيئاً عن سميتها برسيا بنت كاتون قرينة بروتس ،
على أنها ليست بمغمورة الذكر ، ولا مبخوسة المهر ، فإن
نبيهاء الخطاب يتوافدون إليها من كل فج وشاطئ . تتساقط
ضفائرها على صدغيها كأنها جدلت من ذهب . وما
من مخاطب يجد ، وطالب سعد ، إلا وقد طرق بابها ،
والتمس جوابها . فيا صديقي أنطونيو لو تيسر لي أن أتقدم
بين المتقدمين في هذه المناظرة ، فإن وحيًا نبجيًا يسر إلى قلبي
أنني سأدرك قصصَ سبق

أنطونيو : تعلم أن ثروتي جميعها تحت رحمة الهيظ ، وأنه لا يتسنى لي أن أجمع الآن من مالى مقداراً جديراً بالذكر ، فاذهب إلى البنديفة واسبر ما تقدر على استدانته بضماني ، فأياً كان الشيء يبلغك مرامك لم يعز عليّ بذلك . اجث في كل مظنة للنقود، وسأجث أنا كذلك ، ولعل ما للناس بي من الثقة أو مالى عندهم من الكرامة يقضيان أربك .

« يخرجان »

المشهد الثاني

بلمنت - قسم من قصر برسيا

« تنخل برسيا وريسا »

برسيا : حقاً يانريسا إن جسمي الصغير لتعب من هذا العالم الكبير
 فريسا : ما كان أحراك بهذا التعب لو أن ما عندك من اليسر أبدل
 بعسر ، غير أنني قد تبينت أن الإنسان يُشقيه فرطُ الغنى ،

نرسيما : كان أبوك امرأ خير ، والأبرار يلهمون الخير قبل وفاتهم ،
فاعتقدى أن الاقتراع الذى ناطه بهله الصناديق الثلاثة :
الذهبي ، والفضي ، والرصاصي ، وجعلك حليلة لمن يجيء
اختياره وفق مراده لن يجيئك منه إلا بعلٌ جدير بجبك .
على أن الخطاب الذين تقدموا إلى الآن كثير ، أفما تقولين لي
أيهم أكبر حظوة في عينيك

برسيما : أعيدى علىّ إن شئت أسأهم أصفهم ، ومن الوصف
تعلمى منازلهم من رأي

نرسيما : أولهم الأمير النابلي

برسيما : هذا حيوان لاشك فيه . يتكلم بلا انقطاع عن جواده ،
ويتباهى بأنه ينعلُ الدابة بيده ، ويتقن . حتى لأخشى أن
تكون أمه قد عثرت عثرةً بين يدي أحد البياطرة

نرسيما : يليه الكنت البالاتي

برسيما : هذا رجل سمحته متشعبةً من حسن ظنه بنفسه ، كأنه
يخبرك : « أترضين بي أم لا ترضين ؟ أيبني » . يسمع
أظرفَ السير بلا تبسم ، وأخاف لشدة كآبته في شبابه
أنه إذا بلغ أخريات أيامه عاش عيشة الفيلسوف الباكي .
لأوثر على الواحد من هذين أن اقترن برأس ميت ، في فمه
قطعةً من العظم

كما يشقيه جهد الفقر ؛ وإن السعد عين السعد في الحالة الوسطى ، فإن مع الترف وشك المشيب ومع الشظف إمهال الأجل

برسيا : نعمت الحكمة ، وحبذا مجراها على لسانك

نريسا : لخير أن يُعمل بها من أن تقال

برسيا : لو كان العمل بالأصلح سهلاً كالعلم به لأغنت البيع الصغرى

عن الكنائس الكبرى ، ولكانت أكتان الفقراء هي القصور

الآهلات . . أفضل الواعظين هو ذلك الذى يتعظ بنفس

أقواله ، قد يهون على تعليم عشرين سامعاً أكثر مما يهون على -

لو كنت أحدهم - أن أنتصح بنفس نصائحي . العقل يسُن

القوانين للحواس ، ولكن حرارة الطباع تدوس تلك الروابط

الباردة . ما أشبه جنون الشباب بالأرنب الوثاب ، وما أشبه العقل

بالشرك الضعيف ، أفلت منه ذلك الأرنب ، فمضى لغير مآب

على أن هذا القياس لا ينفعنى أدنى نفع فى اختيار

زوج لى ، كيف أذكر الاختيار وما بوسعى انتقاء من

يعجبني ، ولا ردى من لا أحب . جعلت إرادتى - وأنا

فتاة فى اقتبال الحياة - رهن إرادة تقدم بها إلى والد هو الآن

ميت . أليس شاقاً على النفس يانريسا أن تكون الفتاة غير

قادرة على قبول من تود أو رفض من لا تود ؟

نريسا : كيف تقولين في الشريف الفرنسي المسيو ليون ؟
 برسيا : هكذا خلقه الله ، ولا اعتراض لي على وجود مثله بين الرجال .
 أعرف أن سخرية المرء من أخيه خطيئة ، لكن ذلك الرجل
 أكرمُ حصاناً من النابلي ، وأقبحُ عبوسةً من الكنت البالاتي
 هو كل شيء ولكن لا شيء . إذا تغنى الشحرورُ ترقصُ
 له ، وإذا لقي ظله بارزه ، فاقتراي به إنما هو اقترانٌ بعشرين
 زوجاً . ولو احتقنني لغفرت له ، إذ لو أحبنى إلى الجنون
 لما أصاب مني سوى الاحتقار

نريسا : إذا ما فكرت في فلكنبرج البارون الإنجليزي ؟
 برسيا : تعلمين أنني لم أناطبه . إنه ناعم الأظفار لا يفهم كلامي ،
 كما أنني لا أفهم كلامه . هو يجهل اللاتينية ، والفرنسية
 والإيطالية ، وأنا أجهل الإنكليزية إلا كلمتين لا تقوم معهما
 الشهادة لدى القضاء بأنني أحسن هذه اللغة . به جمال
 ولكنه كجمال الصور ، وأني لي أن أتمتع بمحدث مع صورة
 ملبسه غير مألوف . وأظن أنه اشترى صدّاره من إيطاليا
 وسراويلاته القصيرة من فرنسا وقبعته من ألمانيا واتخذ عاداته
 من مختلف الأقاليم

نريسا : وما قولك في جاره النبيل الأسكتلندي ؟
 برسيا : إنه شديد الرغبة في الإحسان إلى أخيه الإنسان ، بدليل أنه

اقترض صفقة أخيه الإنكليزي ، ثم أقسم إلا ماردما إليه
حين يستطيع ، وفي زعمى أن الفرنسي ضمن له المعونة على
هذا الرد ، لكنه زورصك الضمان

نريسا : ما حكمك في اليافع الألماني ابن أخى دوق سكس ؟

برسيا : بغيض قبل الصبح ، وأبغض منه بعد الغبوق . يوشك في
أحسن أوقاته أن يكون رجلا ، وفي أقبح أوقاته لا يفوق
الحيوان الأعجم إلا بشيء يسير . والخيرة لى مع ترجيح
السيئات على الحسنات أن أستغنى عنه

نريسا : لو أنه اقترح في المقترعين وأصاب الصندوق الرابع ، أفتأبينه
لك بعلا فتخالى إرادة والدك ؟

برسيا : ضعى كأساً كبيرة من خمر الرين على الصندوق المقابل لذلك
يترام إليها لا محالة ، ويؤخذ بهذه الخيلة ، وإلا آثرت كل
مصير أصير إليه في الدنيا على التزوج من إسفنجة ا

نريسا : لا تخشى يا سيدتى أحداً من هؤلاء ، فقد علمت بعزهم
على العود إلى ديارهم ، وعدوهم عن الطمىح إليك ، إلا
إذا وجد موفق منهم وسيلة لاكتسابك غير القرعة التى أوصى
أبوك بها

برسيا : لو عشت أظعن في السن من السيبيل لت أظهر في ملمس
عفتى من ديانا ، ولم أتزوج إلا على الطريقة التى اختارها

أبى. أنا مسرورة بما عند هؤلاء الخطاب من سرعة الإدراك،
ممتنة لغيابهم جميعاً ، داعية ربى لتوفيقهم فى السفر
نريسا : ألا تذكرين ياسينتى أنك رأيت فى حياة أبيك رجلاً متأدباً ،
شجاعاً من أهل البنديقية ، زاركم مع الماركيز دى منفرات
برسيا : بلى ، بلى ، وكأننى أنظن لاسمه . . . باسانيو . . .
فيا أظن

نريسا : أجل ياسينتى ، وأحسبه أخلاق من رأيت بأن تهواه امرأة
جميلة

برسيا : أذكره جيداً ، وهو جدير بمدحتك — « يدخل خادم » —
إيها ، ما وراءك ؟

الخادم : الأجنب الأربعة يلتمسون أن يروك للاستئذان بالرحيل
وجاء رسول من أمير مراكش يقول إن سيده سيفد الليلة

برسيا : إذا قدر لى أن أتلقى الخامس بسرور يعادل سرورى
بوداع الأربعة الآخرين ، ابتهجت بقدمه ، على أنه لو
اجتمعت فيه بيضُ شمائل الأولياء إلى سواد وجه الشيطان
لحبذته كاهناً ، ونبلذته قريناً — هلمى نريسا — « للخادم »
أنت تقدمنا . بينما نحن نقفل الباب فى وجه خاطب ، إذا
خاطب غيره يقرع الباب .

المشهد الثالث

البندقية — ساحة عامة

- شيلوخ : ثلاثة آلاف درق — حسن بسن
 باسانيو : أجل ياسيدى لثلاثة أشهر
 شيلوخ : لثلاثة أشهر . حسن بسن
 باسانيو : بصك على أنطونيو كما أنبأتك
 شيلوخ : بصك على أنطونيو — حسن بسن
 باسانيو : أاعتمد عليك ؟ أتسعفى ؟ ما جوابك ؟
 شيلوخ : ثلاثة آلاف درق ، لثلاثة أشهر ، بصك على أنطونيو !
 باسانيو : ماقولك فى هذا ؟
 شيلوخ : أنطونيو كفاء" لهذا القدر
 باسانيو : أعندك ريب ؟
 شيلوخ : لا ، لا . إذا قلت إنه كفاء ، فالعنى أنه قادر على الوفاء .
 سوى أن مملوكاته ليست بثابتة . له سفينة فى طريق طرابلس ،
 وثانية فى طريق الهند ، وسمعت عن ثالثة تيمم المكسيك ،
 ورابعة تنحو نحو إنجلترا ، وعن سفين أخر متوزعة فى آفاق

آخر . غير أن المراكب ليست إلا خشباً ، والملاحين ليسوا
إلا أناساً . دع أخطار الأمواج والأرياح والصخور . إلا
أن الرجل كفاء للوفاء . ثلاثة آلاف دوق . أظن أنني
أستطيع قبول صكه

باسانيو : تستطيع ولا شك

شيلوخ : سأنظر فيما إذا كنت قادراً ، وأفكر في الأمر قبل البت فيه ،
أيتسنى لي أن أكلم أنطونيو ؟

باسانيو : إن أحببت تناول العشاء معنا

شيلوخ : نعم لتشتم مني ربح الخنزير ، وليدخل في جوفى ذلك الحيوان
الذى دعا عليه نبيكم الناصرى ، فأسكن فيه الشيطان .
حباً لكم إن تكن بينى وبينكم مبايعة أو مشاركة ، أو
محادثة ، أو ممشاة إلخ . أما المؤاكلة ، والمشاركة ، والمشاركة
في الصلاة فلا . ما أخبار التجارة في المصنفق — من القادم ؟

« يدخل أنطونيو »

باسانيو : السنيور أنطونيو

شيلوخ : « منفرد » ما أظهر الرفض على وجهه المرأى بالتقوى .
أبغضه لأنه نصرانى ، وخصوصاً لأنه جاهل أبه ، يقرض

المال بلا ربح ، ويسقط قيمة النقد في البندقية . ثن أخذت بتلابيبه يوماً لقد شفيت حزازاتي القديمة منه . هو ينض أمتنا المقدسة ويسخر - حتى في المصفق الذي يجتمع فيه التجار عادة - منى ومن معاملاتى ومن أرباحى المحللة التى ينعتها بالرّبوية . لعنت عشيرتى إن كنت غافراً له هذه الذنوب

ياسانيو : أسمعت ما أقول ؟

شيلوخ : كنت أحسب ما بين يلى من النقود ، وبخيل إلى - إن صدقت ذاكرتى - أننى لا أستطيع فى الحال تجهيز ثلاثة آلاف دوقى كاملة . بل يخطرلى أن طوبال - وهو من أغنياء قوى - يجيبنى إلى ما أطلب . لكن مهلاً ؛ إلى أى أجل « غاطباً أنطونيو عم صباحاً ياسيدى ، كنا فى ذكراك

أنطونيو : شيلوخ . لانى على كوفى لا أقرض ولا أقترض بربح أجلى مضطراً إلى مخالفة مألوفى قضاء حاجة صديقى « إن لسوء « أيعلم المقدار الذى تطلبه ؟

شيلوخ : نعم ، نعم ، ثلاثة آلاف دوقى

أنطونيو : لثلاثة أشهر

شيلوخ : كنت قد نسيت . لثلاثة أشهر كما قلت آنفاً . بصكّ منك .

حسن بسن . لننظر قليلا . لكن أما سمعت أنك لا تأخذ
ولا تعطى بالفائدة

أنطونيو : بلى ، والحق ما سمعت

شيلوخ : عندما كان يعقوب يرعى سائمة عمه لابان — ويعقوب هذا
بفضل أمه الحكيمة هو الثالث من نسل سيدنا إبراهيم . . .

أنطونيو : علام تستشهد به ؟ أفتزعم أنه كان يقرض بالربا ؟

شيلوخ : لالم يكن مقرضاً بالربا . لم يكن ذلك ما يفعله بحصر المعنى ،
وإنما كان المتفق عليه بينه وبين لابان أن كل الخراف التي
تنتج معلمة بلوزين ، تجعل أجراً ليعقوب . فلما كان آخر
الخراف رحالت النعاج ، فالتمست ذكورها ، خطر
لراعيها النطن أن يقتطع قضباناً يعريها من قشورها ، ويضعها
تجاه النعاج وقت ضرابها ، فنجم من رؤيتها أن النعاج
نتجت حُملاً نأ مخططة البلود بلوزين ، وهذه الحملان حقت
ليعقوب . فهذه وسيلة من وسائل الكسب ببارك الله ليعقوب
فيها . وكل ربيع — ما لم يجيء من السرقة — فهو حلال
أنطونيو : كان يعقوب يخدم على كراء لايسعه استزادته ، ولا الانتقاص
منه إلا ما يشاء الله وما لا يستطيعه أحد سواه . أفتعد هذا
مثلاً مبيحاً للربا ؟ وهل ذهبك وفضلتك نعاج وكباش ؟

شيلوخ : ما أدري ، ولكنني أستتجها بمثل تلك السرعة . تنبه لهذا
ياسيدى !

أنطونيو : وأنت يا باسانيو تفتنن ، إن الشيطان يستطيع الاستشهاد
بالتوراة لتصويب أعماله ! فما مثل النفس الشريرة التي تجيء
بتلك الاستشهادات الصالحة إلا مثلُ الحُجْرَم الذي يتسم ،
أو الثمرة الناضرة التي لبها متعفن . ما أكثر الظواهر الخادعة
التي تشبه الرذيلة بالفضيلة !

اوخ : ثلاثة آلاف دوقى - مقدار جُسام . ثلاثة آلاف فى اثني

عشر ؟ لننظر : ما تكون فائدتها ؟

أنطونيو : مهما تكن . أفقتضى حاجتنا ؟

نيلوخ : يا سنيور أنطونيو طالما صادفتنى فى مصفق الريالتو فسخرت

من أعمالى المالية ومن مرابائى ، فلم أقابل ذلك إلا برفع
الكتفين ، وجميل الصبر لأن الألم هو إحدى الآفات التي

نحصت بها أمتنا . وطلما نعتى بالكافر ، أو الكلب الكلب ،

وبصقت على عباقتى التي يعرف منها الناس يهوديتى ، كأنك

تعيبنى لاستعمالى ما هو ملكى . أما الآن فيظهر أنك فى

حاجة إلى : « شيلوخ نريد منك نقوداً » من يقول لى هذا ؟

أنت يامن ينفثُ فى لحيتى لعابه ، ويطردنى من حضرته - كلاً ،

كما يطرد الكلب الأجنبي من عتبة البيت . تطلب منى مالاً !

فيم ينبغي أن أجيب ؟ أيحوز الكلب نقوداً ؟ أيعقل أن كلباً
يقرض ثلاثة آلاف دوق ؟ أم يتعين على أن أخرج إلى الذقن ،
وأن أرد عليك بصوت خافت ، وقلب خاشع : « يامولاي
الجميل ! يوم الأربعاء المنصرم بصتت في وجهي ، ويوماً قبله
طردتني ضرباً برجليك ، ويوماً قبله دعوتني بكلب ، فقياماً مني
بحق تلك المكارم كلها سأقرضك نقوداً ؟ !

أنطونيو : من المحتمل أنك ستجدني مسمياً لك بتلك الأسماء ، أو
باصفاً في وجهك ، أو طارداً إياك برجلي ، فإن كنت راغباً
في إقراضنا المال فلست دائماً به أصدقاء ، وأنى للصدقة
أن تتولد من حيث لارحم ؟ أنت تقرض عدواً فإذا أبطأ عن
الإيفاء في الأجل ، كنت في حلّ من تسخيريط القانون عليه
بكل قوته

شيلوخ : انظر كيف تستشاط . أريد أن أكون صديقاً لك ، وأن
أحصل على عطفك ، وأن أنسى ازدراءك إياي ، وأن أقضى
حاجتك الراهنة ، بلا تقاضي فائدة ما ، وأنت تأبى سماع
ما أعرضه عليك من جميل العرض

أنطونيو : لو فعلت لبالغت في الإجمال

شيلوخ : سأثبت لك مجاملتي - لنذهب إلى محرر عقود فتخطّ الصك
لديه ، ومن باب المزاح سأستكتبك لإقراراً بأنك إذا لم تدفع

زُهاء ذلك الخط في يوم كذا يمكن كذا توجب لي عليك
اقتطاع لبرة من لحمك في المكان الذي اختاره من جسمك . . .
أنطونيو : أوافق بارتياح على هذا الاقتراح ، وسأوقع على الصك محرراً
بهذا النص ، شاكراً لك هذه المجاملة اليهودية

باسانيو : لن تخط خطأ كهذا لأجل أبد الدهر !
أنطونيو : لاتخش بأساً يا صفي ، سأقوم بعهدى ، فبعد شهرين ،
أى قبل الأجل بشهر ، تردني أو ساق بثلاثة أضعاف هذا القدر
شيلوخ : يا أبانا إبراهيم ! هؤلاء النصارى عجب أمرهم . . . ساءت
فعاظهم فقبحت بالناس ظنونهم . أنت مخبرى ماذا أكسب من
إنفاذ هذا الشرط إذا لم يف المدين بما عليه . للرطل من لحم
رجل أقل قيمة من رطل الضأن أو البقر أو الماعز . إنما أفل
هذا توسلاً به إلى مودته ، فإن رضى فيها ونعمت ، وإلا
فأستودعكم الله راجياً ألا تبغوني بشر من حيث أردت لكم الخير !
أنطونيو : أجل شيلوخ ، سأوقع على هذا الصك

شيلوخ : فتفضل وانتظرنى لدى محرر العقود ، وقل له : أن يخط
هذا الشرط المضحك ، أما أنا فأمضى بلحلب الدوقيات
وإلقاء نظرة في بيتى الذى يحرسه ماهن مكسال ، لا ينبغى
لرب البيت أن يستنيم لهمة ، ثم أدرككم :

الفصل الثاني

المشهد الأول

بلمنت - قسم في قصر برسيا

« يدخل أمير مراكش مع أتباعه وبرسيا مع أتباعها ونريسا »
« معازف »

الأمير : لا تنفري من سمرة أديمي، فإنها مسحة من جوار الشمس لي
في مسقط رأسي . على أنك لو جئتني بأبهي رجل من أهل
هذه الأقاليم الشمالية التي لا تكاد أشعة النهار تذيب صقيعها
لواقفته موقف الفِصَاد، وأشهدتك من منّا دمه أشد احمراراً ؟
ثم اعلمي ياسيلتي أن رؤيتي طالما أرعدت الشجعان ،
كما أنها - - - وجبك - - - طالما كانت قيد الأوابد من الحسان في
أوانس بلادي ، ولئن حدثني شيء على التبدل بلون مُشَقِّقٍ
من لوني القاتم لما كان إلا ابتغائي رضاك يا مليكتي !
برسيا : لن أجعل إيثاري قائماً على ما تشهد به عيناي ، وأنا في
عهد طفولتي واغتراري ، بل أنا تابعة لحكم القرعة دون

اختياري ، ولولا أني مقيدة بهذا القيد الذي إنما جعلت به زوجاً للموفق في فطنته ، لما كان بين الخطّاب الذين رأيتهم واحد أولى منك بعطفي

الأمير : هذا كثير وأشكره لك . . ثم أستزيدك جميلاً : أن تدليني على موضع تلك الصناديق ، فأتبعن بعثتي . حلفت بهذا الحسام الذي قتلت به صوفيّاً وصرعت أميراً أعجميّاً ، وأحرزت النصر العزيز في ثلاث وعكات ، جرت بيني وبين السلطان سليمان ، لو اقتضاني غرامى أن أردّ كل ساهى الطرف ناكس البصر ، أو أن كافح كل قرم عنيد قهار شديد ، بل لو سامني انتزاع رضيع الوحش الضارى عن ضرع أمه ، أو مناوأة الضيغم المصور وقد استفزه القوم ، لفعلت طمعاً في الظفر بك ، ولكنه - واحسبياً - أمر منوط بالمقادير ، والمقادير ربما سدّدت سهم الضعيف وأطاشت سهم القدير ، وربما أدنت حظ الآجر وأعالت حظ الأجير ، فههنا مجال المكره ، لا البطل ، وإنى لأخشى أن أخفق حيث يفوز من هو درني فأموت بشجرتي برحميا : أمامك اثنان لا ثالث لهما ، إما أن تعدل وإما أن تصيب ما يقضى به لك الصندوق الذي تعيّن به هذا بعد أن تقسم على أنك إن أخفقت لم تتخذ لك زوجاً بقية عمرك . تفكر ثم تخير

الأمير : رضيت بهذين الشرطين : لنمض فأعلم ما يقضى به طالعي
برسيا : بل نذهب أولاً إلى حيث تحلف بين الموافقة ، وبعد العشاء
تشرح في الخيرة
الأمير : أسأل الله لإنجاح قصدي فإني بعد هذا الاقتراح : إما أسعد
الخلق ، وإما أتسهم .

المشهد الثاني

البندقية - جادة

« يدخل لنسلو جوبو »

لنسلو : ضميري يحتم عليّ أن أترك خدعة اليهودي مولاي . والشيطان
على مقربة مني ، يخادعني بقوله : جوبو ، لنسلو ، يا صديقي
لنسلو ، أو يا صديقي جوبو ، أو يا صفيي لنسلو جوبو ،
أعمل فخذليك ، وانج بنفسك . ثم يقول لي ضميري : حذار
يا لنسلو التزيه ، حذار يا جوبو المستقيم ، أو كما كنت
أقول آنفًا : أيها التزيه لنسلو جوبو
لا تبرح ، وترفع عن إجهاد فخذليك في الهزيمة . إلا أنه - أي
الشيطان - لا يلبث أن يعيد عليّ نصيحته بالارتجال متشددًا

فيها مهيباً لى : « أفلح . تشجع . أنجُ بنفسك » . عندئذ يعلق ضميرى برقبة فؤادى ، ويقول لى عن حكمة : « يا صديقى لنسلو القويم ، ابن الرجل المستقيم وابن المرأة المستقيمة » — ذلك أن والدى كان يدوق الثمرة التى بين يديه ولا يخلو من سلامة فى الذوق : عندئذ يقول ضميرى : « البث لنسلو » ، فيقول الشيطان : « فراراً » فيقول الضمير : « إياك » ، فأقول لأحدهما : « يا ضميرى حسنت نصيحتك » . ثم أقول للآخر « أيها الشيطان أين الصواب فى مشورتك » . لو جاريت الضمير لأقمت مع اليهودى الذى هو — أستغفر الله — ضرب من الشيطان ، ولو فارقت اليهودى لأصبح زمامى فى يد الشيطان الذى هو — ولا مؤاخلة — الشيطان بعينه ، وهذا اليهودى بشخصه . وبلدتى إن ذمتى لتركب الشطط حين تنصح لى بالمكث عند اليهودى . وإنما الشيطان هو الذى ينصح لى نصيحة الصداقة . سافر ، سافر . أمرك مطاع أيها الشيطان

« يدخل جوهر المجوز حاملاً سلالاً »

جوهو : ياسينى القفى ، أين الطريق التى توصل لى بيت اليهودى ؟
لنسلو : « منفرداً » يا لله ! هذا أبى ، والذى بالحلل ولم يعرفنى
لشدة حسره ! سأختبره اختباراً مداعبة

جوبو : ياسيدى الفقى ، أين الطريق اللى توصل إلى بيت اليهودى ؟

لنسلو : عندما تصل إلى العطفة الأولى تحيد يمينا ، فإذا بلغت العطفة الثانية تحيد شمالاً ، ثم تدرك العطفة الثالثة ، فهناك لا تحيد إلى جهة من الجهات وتتجه بانحراف إلى بيت اليهودى

جوبو : يا فيض الله ، هذه طريق لاتسهل معرفتها . أنت مخبرى إن كان الفقى المقيم معه - واسمه لنسلو - مقياً معه أم لا ؟

لنسلو : أتسأل عن المسيو لنسلو الأصغر «منفرداً» تأملوا فى الآن سأستدرّ أياها - أتسأل عن المسيو لنسلو الفقى ؟

جوبو : لا ياسيدى ، ولكن عن ابن رجل فقير أنا أبوه - وإن كنت أنا مدعى هذه الدعوى ، رجل مستقيم معسر ، مدقىع ، لكنه - بحمد الله - حسن السيرة والأخلاق

لنسلو : لا يهمنى أبوه كائناً من كان ، وإنما نتكلم على لنسلو الأصغر

جوبو : أجل ، بإذنك نتكلم على لنسلو

لنسلو : لا تتكلم على لنسلو أيها الشيخ بعد الآن ؛ فإن ذلك

الشاب قد أذن به الدهر أو القدر أو أى مسمى آخر
 بأسماء الصروف الصارمة لحبال الآجال من علمية وغير علمية
 فمات موتاً ، أو بعبارة أشيع في العامة ذهب إلى السماء .

جوبو : أعفاني الله من هذا المصاب ، فالفتى هو سندي ،
 وحيدى ، عكاز شيخونحتى

لنسلو : أظاهر على أنى أشبه عصاً أو هراوة أو دعامة خيمة
 أتبيئتني يا أبى ؟

جوبو : لا يا سيدى الفتى ، لكن أرجو أن تقول ولدى (رحمه الله)
 حتى أم ميت

لنسلو : ألم تعرفنى يا أبت ؟

جوبو : أسفناً يا سيدى إن نظرى ضعيف ولم أتبينك

لنسلو : لو كان بصرك سليماً . . . ومن هو فى الآباء ذلك الفطن
 الذى يعرف ابنه . . . أيها الشيخ . سأعلمك بأنباء نجلك .
 باركنى « بجوه » ينبغى أن يبرح الخفاء . القتل لا يخفى دهرأ
 ولكن انتساب الولد لأبيه قد يستسر طويلاً ثم تنجلي الحقيقة

جوبو : أرجو يا سيدى أن تنهض ، فإنى موقن أنك لست بلنسلو ولدى

لنسلو : لا تماد أكثر فى هذا المزاح ، باركنى ، أنا لنسلو
 غلامك سابقاً ، ونجلك الآن ، وابنك إلى الأبد .

- جوبو : لا أصدق أنك ابني
- لنسلو : لا أدري ما الذى يحسن بي اعتقاده في هذا المعنى ؛
لكننى أنا لنسلو الماهن لدى اليهودى ، وعلى ثقة لا ريب فيها
من أن امرأتك مرغريتا هى أمى
- جوبو : اسمها في الحقيقة مرغريتا ، غير أنى لم أكن لأقسم
أنك لنسلو من لحمى ودى . تبارك الله ما هذه اللحية التى
صار الشعر فيها أكثر منه في ذنب «دوبين» حصاننا الجرار
- لنسلو : إذن شعر دوبين ينمو خلافاً ، لأننى في آخر ما رأيته
كان الشعر في ذنبه أكثر منه في ذقنى
- جوبو : لقد تغيرت . كيف حالك مع مولاك - أنا قادم إليك
بهدية ، أعلى وفاق أنما ؟
- لنسلو : على المرام ، على المرام . لكننى أنا قد عزمت على الهزيمة إلى
أبعد ما أستطيع عن ذلك اليهودى القمّح . أتهاديه ؟ أولى لك
أن تضع حبلًا في عنقه وتشدّه . أماتنى جوعًا ، وهذه
أضلاعى تقدر أن تعدّها بأصابعك . يا أبت أنا مسرور
بمجيئتك . آثر بهديتلك سيداً يدعى با سانيو . فإنه يلبس
خادمه خلعةً فاخرة نفيسة ، فإن لم يتيسر لى أن يستخلمنى
هذا السيد ، لبثت أفرّ ما دام في الأرض طول وعرض .
يا لسعد طالعى ! ها هو ذا آت بنفسه . كلمه يا أبى وإلا

فإني إذا استمررت تحت أمر اليهودي صرت يهودياً

« يدخل باسانيو يليه ليوناردو وبعض خدم »

باسانيو : « مخاطباً خادماً » ليكن . قبلت . لكن ينبغي الإسراع
ليتسنى تهيؤ الطعام الساعة الخامسة . احرص على إيصال
هذه الرسائل . أوص بالخلع الجديدة . قل لغراتيانو أن
يجيئني بعد حين

لنسلو : كلمه يا أبي

جوبو : ليبارك الله في سيادتك

باسانيو : شكراً جزيلاً . أتبعني مخاطبتى في شيء ؟

جوبو : هذا غلامى يا سيدى ، وهو غلام فقير

لنسلو : لست فقيراً يا سيدى ، ولكنى ما هن لدى اليهودى الغنى ،

وملتسى هو ما سيعرضه والذى لسيادتك

جوبو : هو مريض تشوقاً لخدمة . . .

لنسلو : بلا تطويل ولا تقصير ، أنا في خدمة اليهودى ، وأتمنى

ما سيعرضه أبى . . .

جوبو : ولا يخفى على سيادتكم أن اليهودى وهذا الغلام ليسا بابنى عم ،

بمعنى أنه . . .

لنسلو : بعبارة مرجزة : اليهودى أساء التصرف في حقى ، وهذا هو

- السبب في الأمر الذي سيقرحه والذي الذي هو — كما أرجو — طاعن في السن !
- جوبو : أنا حامل إلى سيادتك بضعة أزواج من الحمام ، هل لك في قبولها ؟ وآماسي هو . . .
- لنسلو : الخلاصة أن هذا الطلب جائز القبول ، كما سيدكره لسيادتك هذا الشيخ المستقيم ، الذي هو فقيرٌ ، وفوق ذلك هو والذي . . .
- باسانيو : ليتكلم أحدكما عن الآخر . ماذا تريدان ؟
- لنسلو : ألتمس الدخول في خدمتك يا سنيور
- جوبو : هذا كل ملتسنا
- باسانيو : « إك لنسو » أعرفك جيداً وأجيب طلبك . كان شيلوخ يكلمني عنك في هذا اليوم ، وسيكون له الفضل في رقيك إن كان من الرقي الانصراف عن خدمة يهودى موسر ، إلى خدمة شريف معسر
- لنسلو : صدق المثل القديم : لقد تقاسمتا نعمتين أنت وشيلوخ : له الأولى ، ولك الأخرى
- باسانيو : صدقت « إك جوبو » اتبع غلامك أيها الوالد الصالح « إك لنسو » اذهب فاستأذن مولاك السالف ، ثم استفهم عن دارى « إك خدمه » ألبسوه خلعته أبهج

زينة من خلع رفاقه . . . « يا جى ليوناردو »

لتسلو : يا أبى أصبح الخرج فى الخرج أنا لا أعرف كيف تلمس الخدمة ، ولا كيف يستعمل اللسان « ناظرًا يده » أما يندى فأية يد ممتدة للقسم على التوراة فى جميع إيطاليا تشبه بها ؟ سأكون سعيد الطالع . . . لا جرم . هذا الخط يدل على طول البقاء كما أرجو . وهؤلاء ، فى جانب الزواج ، نسوة شائقات ، لكنهن لسن بكثيرات ، وماذا تكون ؟ خمس عشرة امرأة ، وإحدى عشرة أيسمًا وتسع بنات . هل هن زيادة عن الكيفاء للرجل المستقيم . هذا عدا نجاتي ثلاث مرار من الغرق ، ومرة من هلكة السقوط عن حافة فراش من الريش . على أن هذه النجاة الأخيرة ليست بعجيبة ، ولكنها نجاة . ولئن كانت السعادة امرأة فلا شك أنها أحسنت عجن المادة التى فتلت لى منها هذه الخيوط . تعال يا أبى ، سأستأذن اليهودى فى طرفة عين

« يخرج لتسلو وجوىو »

باسانيو : « مخاطبًا ليوناردو » أتضرع إليك أيها العزيز ليوناردو . تنبه لهذا ، وهى اشتريت تلك الأشياء وربتها عند وشيكًا ، ليم بك أنسنا الليلة ، فى مجلس شراب سيشهده

- عندي أكرم أصدقائي . اذهب . بادر
- ليوناردو : سأتي بأحسن ما أستطيع . « يدخل غراتيانو »
- غراتيانو : « مخاطباً ليوناردو » أين مولاك ؟
- ليوناردو : ها هو ذا يتمشى هناك « يمشي ليوناردو »
- غراتيانو : « جهراً » سنيور باسانيو . . .
- باسانيو : « ملتفتاً » غراتيانو
- غراتيانو : لي اقتراح عليك
- باسانيو : قد أجيب
- غراتيانو : ذلك ما ألهج به : سأصحبك إلى بلمنت
- باسانيو : إذا أصررت لم أخالف ، لكن سمعاً يا غراتيانو : من مألوفك أن تتكلم بلا احتباس ، وتجهر بالصوت . فهذا ليس بعيب فيما بيننا ، ولكن ربما لم يحسن حيث تكون مجهولاً — فتكلم واطف حدة طبعك ، بأن تضع فيها بعض نقط من الاحتياط ، والتواضع ، وإلاّ فر بما جلبت خطتك على ما يضر بي في رأى الأناس الذين أقصدهم ، بل ربما قوّضت آمالي
- غراتيانو : أنصت يا سنيور باسانيو : إذا لم تجلني ثمة « معتدلاً » في سيرى ، متكلماً بوداعة ، ممتنعاً عن ألفاظ الحجر إلاّ أحياناً ، ممسكاً بكتب الأدعية والتلاوات الدينية ، جاداً

في كل مقام ، جاعلاً في أوان الصلاة قبعتي نصبَ عيني
هكذا، فتتهدأ، فقائلاً : آمين ؛ مراقباً كل مصطلحات
الأدب على نحو ما يفعل اليافع الذي يحاول إرضاء
جدته . . . إذا لم تجدني فاعلاماً كل ما ذكرت فلا كانت
لك في ثقة ، ولا كان لك على معول

- باسانيو : رضيت ، وسأرى المنهج الذي تنهجه
غراتيانو : لكنني أستثنى مجلس الليلة وما سيجرى فيه
باسانيو : خسارة في مثل هذه الليلة أن تفقد طلاقتك ، بل
ينبغي أن ترتدي أحسن أزياء الابتهاج فيكتمل بك سرور
الإخوان أفضل ما كانوا استعداداً لللك . سأتولى عنك الآن
لقضاء بعض الشؤون
غراتيانو : وأنا أنتظر هنا لورنزو ورفقاه ثم نجيبك جميعاً في ساعة
العشاء .

المشهد الثالث

نفس المدينة - مزارعة في بيت شيلوخ

« تدخل جسيكا ولسلو »

جسيكا : أنا متكدرة لتركك أبي ، وستكون لك وحشة في هذا البيت
الجهنمي ، الذي كنت تؤنسه أحياناً . امض مزوداً ، وهذا
دوق هبة . لسلو سترى لورنزو بين مدعوى سيدك الحديد
للعشاء فأعطه هذه الرسالة ، لكن سرّاً . اذهب . لا ينبغي
أن يراني أبي أحدثك .

لسلو : وداعاً ، وإليك هذه العبرات بدلاً من العبارات .
يا لك من وثنية ساحرة ، بل يهودية شائقة ! لئن لم يكن واحد
من هؤلاء النصاري ساعياً مسعاً اللص للفوز بك ، إني إذن
لغراً . لكن هذه الدموع قد استغرقت شجاعتي ، وأذابت
صلابتي . أستودعك السلامة « يخرج »

جسيكا : « منفرة » اذهب معافي يا لسلو . ما أظلمني لأبي
بخجلى من انتسابي إليه ! لكنني مخالفة له في الطبع ،
وإن كان الدم واحداً . أي لورنزو إذا صدقت بوعدك

فررت إليك من هذا المعترك الأليم ، فصبات عن
دينى ، وبت على مذهب قرينى «تخرج»

المدينة عينها - جادة

« يدخل غراتيانو - لورنزو - سالارينو - سالانيو »

لورنزو : أجل سنتسلل في أثناء الوليمة فنغير أزياعنا في دارى ،
وبعد ساعة نعود
غراتيانو : لم نستوف أهبتنا
سالارينو : لم نتكلم بعد عن موكب المشاعل
سالانيو : بشس الاختراع ، إلا إذا صنف بإبداع ، وعندى
أن الاستغناء عنه أفضل .
لورنزو : الساعة إنما هى الرابعة الآن ولدينا فسحة ساعتين لإعداد
كل شىء

« يقدم لنسلو بكتاب »

لورنزو : « متعماً » ما أخبرك يا صاحبي لنسلو ؟
لنسلو : إن شئت أن تفتح هذا الكتاب علمت

لورنزو : تبينت الخط ، وهو جميل ، حررته يد بيضاء أنصح
من هذا الطرس
غراتيانو : ألوكة غرام ولا ريب

« لنسلو متأخراً للانصراف »

لنسلو : بإذنكم يا مولاي
لورنزو : إلى أين ؟
لنسلو : إلى حيث اليهودى مولاي العتيق ، أدعوه لتناول العشاء عند
النصرانى مولاي الحديد

لورنزو : « سطيعاً لياك كيساً مهلاً ، نخذ هذا . قل للعزيزة جسيكا إنى
سأتى فى الميقات . قل لها ذلك سرّاً . انصرف

« يبتعد لنسلو »

لورنزو : « متساءً أيها السادة : أتريدون أن نتأهب لمهرجان
السخرية فى هذا المساء ؟ قد تيسر لى حامل مشعل

سالارينو : سأمضى من فورى
سالانيو : وأنا أحذو حذوك
لورنزو : أدركانى وغراتيانو فى دار اليهودى بعد ساعة
سالارينو : لن نتخلف

« يبتعد سالارينو وسالانيو »

غراتيانو : ألم يكن الكتاب من جسيكا الجميلة ؟
 لورنزو : يجب أن أطلعك على كل سر . بعثت تسألني كيف
 أنخطفها من بيت أبيها ؟ وكيف تنجو بما ستحملة
 من الذهب والحجارة الكريمة ؟ وتخبرني أنها استصنعت خبطة
 وصيف لتختفي بها على الرقباء . لو تقبل الله أباها يوماً
 في السماء ، تم له ذلك بشفاعة تلك الكريمة الحسنة ، ولو
 استجاز مصاب أن يعترض سبيلها لما ترخصت لذلك إلا من
 كونها ابنة يهودى بلا إيمان . هلم بنا وقرأ هذه في الطريق .
 ستكون جسيكا حاملة مشعل .

« يخرجان »

المشهد الخامس

البندقية — أمام بيت شيلوخ

« شيلوخ ونسلو »

شيلوخ : سترى عما قليل بعينيك سعة الفرق بين شيلوخ العجوز
 وباسانيو « يدعو » جسيكا — لن تأكل الخاوى بشراة كما
 كنت تحلولي عندي — جسيكا — لن تقضى معظم وقتك في

النوم والغطيط وتمزيق ثيابك - جسيكا أتخضرين ؟

لنسلو : « نادياً » جسيكا

شيلوخ : من كلفك أن تدعوها ؟

لنسلو : طالما وبختني لأنني لا أصنع شيئاً إلا بأمر

« تبيء جسيكا »

جسيكا : أتدعوني ، ماذا تريد مني ؟

شيلوخ : سأتعشى اليوم خارجاً يا جسيكا . هذه مفاتيحي .

لكن علام أذهب ؟ لم يدعوني عن حب - مأربٌ لاحفاوة -

بل أذهب انتقاماً منهم لأكل من نفقة ذلك النصراني المسرف :

بنيتي جسيكا راقبي الدار . سأغيب برحمتي خائفاً من كيد

يكاد لي ، لأنني رأيت أكياس فضة في منامى أمس

لنسلو : أضرع إلياك يا سيدي أن تذهب ، فإن مولاي الحديد قد

عول على وعدك

شيلوخ : وأنا معول على وعده كذلك

لنسلو : ولقد أضمرنا شيئاً لهذه الليلة ، وأسروا النجوى فيما بينهم .

لن أبوح بما أخفوه ، لكنك إذا رأيت الليلة مهنجان أناس

متنكرين لم يكن ذلك إلا مصداقاً لرُحاف أني يوم الاثنين

المنصرم المعروف في التاريخ باليوم الأسود في الساعة السادسة

صباحاً ، على حين أن الرعاف الذي جرى لي قبله إنما كان في يوم أربعاء الرماد نحو الأصيل

شيلوخ : سيتكرون ؟ اسمعي يا جسيكا . غلق الأبواب بإحكام

وإذا سمعت طبلًا وزمراً نزاز النغم فحذار حلاز أن تذهبي

إلى الكوة ، أو أن تطلي بوجهك على الجمهور لترى الوجوه

المستعارة التي يطوف بها أولئك النصاري البلهاء . أفضلي

آذان داري « النوافذ » ، ولا تصل ضوضاء أولئك المجانين

إلى بيئي الساكن الأمين . قسماً بعضا يعقوب إنني

ذاهبٌ في هذا المساء إلى تلك الوليمة بكرهي وبلا أدنى رغبة

منى لكنني سأذهب « إك نسلو » اسبقني وقل إنني قادم

لنسلو : سأسبق يا سيدى « بصوت منخفض لجسيكا » لا يمنعك هذا

من التطلع فرجما جعائك نصرائى موعود ، خليك بمودة

كراثم اليهود « ينصرف »

شيلوخ : ماذا يقول هذا الغر من نسل هاجر ؟

جسيكا : قال وداعاً يا مخدومتى ولم يزد

شيلوخ : غلام لا بأس به . لكنه أكل نهم بطيئاً في العمل ،

نؤوم ، كالسنور البرى ، أنا لا أحب الزنابير في خليتي ،

ولهذا طبت عنه نفساً لغيرى ، فليعن مولاه الجديده على إنفاق

المال الذي أقرضته إياه بسرعة . عودى يا جسيكا ، ولعلى

لا ألبث أن أرجع . افعل ما أوصيتك به . غلق الأبواب :
« من احتبس ، لم يجتس » ! هذا مثل دائم الحضور في
ذهن المقتصد « يتعد »
: أستودعك الله . ولئن تحقق ما نويت لقد فقدت أبي وفقدت
أنت ابتك « يتعد »

المشهد السادس

عين المكان

« يدخل غراتيانو وسالارينو متكررين »

غراتيانو : هذا هو الرواق الذى أوعز إلينا لورنزو أن نتظره فى بيته
سالارينو : مضت الساعة أو كادت
غراتيانو : عجيب أن يتباطأ وما هذا شأن العاشقين ؟
سالارينو : من عادة حمام الزهرة أن يطرنا إلى عقد مودات جديدة
بأسرع مراراً مما يجتمن للبقاء على مودة قديمة
غراتيانو : ستكون الحال أبداً هكذا : أى الضيوف وقد فارق
المائدة تكون شهوته للطعام كما كانت حين جلوسه إليها؟ أى

جواد إذا رُدَّ في الطريق الوعة التي جازها من قبل ،
لا يتباطأ في الرجوع ؟ في كل أمور هذه الدنيا نحن أنشط
حين نسعى إلى المطلوب منا حين نتمتع به . انظر إلى الفلّك
إذ تفارق مرفأها الأصلي فراق الولد الشاطر لبيت أبيه ،
فتنشر رايثها الزاهية الألوان ، يداعبها الهواء دعاب الهوى ، ثم
انظر إليها تعود عودَ ذلك الولد الشاطر ملوية الأضلاع ممزقة
الشرع مهدمة الجوانب بفعل النسيم الفاسق « يحيى لورنزو »
هذا لورنزو ، سنستأنف الكلام في هنا

لورنزو : يا أصدقائي الأعزاء ، اغفروا لي إبطائي المملّ ، فإنما أعملى
التي سببته . وإنى لأعدكم ، بأن أنتظركم ما شتم حين يخطر
لكم أن تختطفوا عرائس « يتقدم » هذا بيت اليهودى نسيبي -
هيا ، أأحد هنا ؟

جسيكا : « بلبس الوصيف تنظر من النافذة » من أنت ؟ تسمّ لأزداد
طمأنينة ، وإن عرفت الصوت

لورنزو : حبيبك لورنزو

جسيكا : لورنزو محقق ، حبيبي بلاريب ، ألى عندك من الهوى
ما لك عندي ؟

لورنزو : السماء وقلبك يشهدان بصدق غرامى

جسيكا : « ملقبة مستوقاً » تناول هذا الصندوق . فيه ما يستحق

هذا العناء . أنا فرحة بأن الوقت ليل ، وأنتك لا تستطيع
رؤيتي ، لأنني خجلة من تنكري بهذا الملابس . إنما الغرام
أهمي ، وليس للمتحابين أن يروا هم آثار جنونهم ، إذ لو
قدروا على استجلاء الحقيقة لخجل الغرام نفسه من تشكلي
بهذا الشكل

لورنزو : انزلى فقد جعلتك حاملة مشعل

جسيكا : ما تقول ؟ أبيدي أحمل النور الذي يكشف فضيحتي ، على

كونها أجدر بالإخفاء لشدة وضوحها . لا بد لي من الاستتار

لورنزو : حسبك استتاراً يا حبيبتى في ثوب الوصيف ، أسرعى لأن

الليل يتقدم ونحن منتظرون في وليمة باسانيو

جسيكا : سأقفل الأبواب وأجلب ما أستطيعه من الدوقيات

« تعارى من النافذة »

غراتيانو : حلفت بقبعتي إنها لطيفة وليست يهودية

لورنزو : أقسم لكم إنني أحبها بكل جوارحي ، لأنها حسيمة متبصرة —

على ما أستخلص ، ولأنها جميلة — على ما أرى ، ولأنها

مخلصه — على ما تبينت ، فبالنظر إلى كونها فتاة عاقلة حسنة

طاهرة ، قد أقررت منزلتها في قلبي مدى العمر « تحضر

جسيكا » سرعان ما حضرت . لننصرف يا سادة . إن إخواننا

المتنكرين ينتظروننا

« يذهبون إلا غراتيانو ويحضر أنطونيو »

أنطونيو : من الشخص ؟

غراتيانو : ألسنت السنيور أنطونيو ؟

أنطونيو : أف يا غراتيانو ! أين الآخرون . الساعة التاسعة . وأصدقائنا في الانتظار . ستلطف زينة الليلة لأن العواصف هبت وباسانيو مبحر بعد هنيهة ، وقد أرسلت عشرين نفساً في طلبكم :

غراتيانو : حبنا ما تبشرني به فلا شيء أحب إلى من الإقلاع ، ولو في مثل هذا الليل .

« ينصرفان »

المشهد السابع

بلمنت — مزارعة في قصر برسيا

« صوت معازف — تدخل برسيا وأمير مراكش وتبعهما »

برسيا : لترفع هذه الستارة ، وليدلل هذا الأمير النبيل على الصناديق الثلاثة « يرفع الحجاب وتظهر الصناديق ، أحدها ذهب ، والثاني فضة ، والثالث رصاص » الآن تخير .

الأمير : «متأثلاً» الأول من ذهب ومكتوب عليه

من اصطفتاني فقدمًا تمتت الناس وصلى

الثاني من فضة ومكتوب عليه :

من انتقتاني فإني أهل له وهو أهلي

الثالث من رصاص ومكتوب عليه :

من ابتغاني فأعزز بما يهين لأجلى

كيف أعلم أنني أحسنت الانتقاء ؟

برسيا : أيها الأمير في أحد هذه الصناديق رسمى ، فإن اهتديت إلى

الصندوق الذى هو فيه فإني لك .

الأمير : لينطقنى الله بالصواب . سأعيد قراءة الأبيات المنقرشة بادئاً

من أخيرها :

من ابتغاني فأعزز بما يهين لأجلى

علامَ المجازفةُ بكل شيء : أللحصول على رصاص ؟

هذا الصندوق مشوم الطالع . الرجل الذى يخاطر بكل شيء

جدير بأن يتطلب من وراء ذلك فوائد وافية . النفس العالية

لا تتداني لالتماس مثل هذه المادة المستخسبة . ماذا يقول

صندوق الفضة ؟

من انتقتاني فإني أهل له وهو أهلي

قف قليلاً يا أمير مراکش . زن قيمتك وزن إنصاف . لو رجعت في الحكم إلى ما تقوم به نفسك لأغلبيت . ولكنك مهما تغال ، وتكن على حق ، فربما لم تكن بالغاً من القدر ما يؤهلك لهذه الغيداء ؛ على أنني لو نظرت من جهة أخرى لما جاز لي الارتياح في قدرى ، ولا الإزراء على نفسي . ما أستحق ؟ أنا كفى لهذه الحسنة بمحتدى وبجاهى ، وبجمال ملاحى ، وأدبى ، وخصوصاً بجبى . لعل الهدى في وقوفى ههنا ؟ بل لنقرأ ما على صندوق الذهب :

من اصطفاني فقدماً تحنت الناس وصلى

معناه أن كل إنسان يتمنى ربة هذا القصر ، وأن الخطاب من كل أطراف الدنيا يسعون لتقبيل الوعاء المشتعل على هذه الحوراء اللذيوية . فمن جهة قد تحولت فدأفدُ أركانها ، وفيافي بلاد العرب إلى مسالك يسلكها الأمراء قادمين من كل صوب لمشاهدة جمال برسيا ، ومن جهة ثانية قد أصبحت مملكة الماء التي تشمخ بأواجها إلى السماء غير ما نعة من توافد الأجانب يجوزونها كما تجاز الأنهار الصغرى ، ليشاهدوا جمال برسيا . في أحد هذه الصناديق الثلاثة رسعها المعشوق ، أيحتمل كونه في صندوق الرصاص ؟ من الإثم هذا

الظن . وذلك اجلسم لا يليق أن يوضع ، حتى بعد الوفاة ،
 في مثل هذا المعدن الخقير . أف يكون الرسم إذاً في الفضة ،
 وقيمة الفضة أقل عشرة أضعاف من قيمة الذهب الخالص .
 وهل يعقل أن توضع لؤلؤة غالية هذا الغلاء في شيء أدنى من
 الذهب ؟ توجد في إنجلترا سكة مصور عليها ملك ، ولكن
 الملك على ظاهرها ، أما ههنا فالملك في ضمن مهد من
 الذهب . أعطوني المفتاح قد استخرت الله

برسيا : هذا مفتاحه يا أمير ، فإن كان رسمى فيه فإني جاريتهك

الأمير : « بعد فتح صندوق الذهب » — يا للجنة ! ماذا أرى ؟ هيكل ميت !

وفي عينه الفارغة قرطاس ؟ لنقرأ ما في القرطاس

قل كائناً من كنت عن ثقة

ما كلُّ براق من الذهب

عظة هي الكثر النفيس فلا

بدع إذا ثبتت على الحقب

لو كان رأيك غير مختلط

في حين شعرك غير مختضب

ماعدت هذا العود في ندم

ويعمل هذا الرد لم تُجيب

« بعد قراءة الأشعار يقول متصفاً »

لقد أضعت وقتي . وداعاً أيها الغرام المحرق ! سلام عليك أيها
القلب الذي لا يكثرث ! لقد أنخنت جراحى يا برسيا .
ولكن لا أطيل العتاب ، بل أنصرف كما يليق بمن قامر
فخسر . « يخرج »

برسيا : لقد نجونا منه والحمد لله . أسدلوا الأستار ، ولا كان اختيار
مشاكلية في اللون إلا كاختياره « تخرجان »

المشهد الثامن

البندقية — جادة

« يدخل سالارينو وسالانيو »

سالارينو: أيها الصبيّ سالانيو رأيت باسانيو مقلعاً ، بصحبه غراتيانو ،
وأنا موقن أن لورنزو لم يكن في سفينتهما
سالانيو : ذلك اليهودى الفاجر أيقظ اللوج بصحبه وصراخه ، فذهب
إلى سفينة باسانيو وفتش فيها

سالارينو: جاء بعد أن أقلع المركب ، لكنه سمع أن لورنزو وعشيقتة
جسيكا شوهدا معاً في زورق ، ووكد له أنطونيو توكيداً
لايحتمل الريب أنهما لم يكونا في سفينة باسانيو

سالانيو: لم أرقط سمخطاً أشدّ التباساً وغبابة وجنوناً من سمخط ذلك
اليهودى السافل ، الذى كان يطوف الأسواق منتحياً صائحاً :
بنى . دوقياتى . وابنتا . فرت مع مسيحي . وادنانيرى
المتنصرة ! الإنصاف باسم القانون . دوقياتى . بنى . كيس .
بل كيسان من الدوقيات ، فرادى ومزدوجات اختلستهما
سليتى واحترست بجانبهما مصوغات جمّة وألماسين نادرتين
ثميتين . ذلك سرقة ابنتى وكل ذلك معها الآن

سالارينو: الأدهى أن صببة البندقية يتعقبونه صائحين : ألماساتى . بنى .
دوقياتى

سالانيو : أخشى أن يتأخر أنطونيو عن الوفاء فى الأجل فيغرم قيمَ هله
المسروقات كلها

سالارينو: ذكرتنى — حين ينفع التذكير — أمراً سمعته أمس من أحد
الفرنسيين وهو أن مركباً من مراكب بلدنا مشحوناً شحناً غالياً
قد ارتطم فى المضيق الذى بين فرنسا وإنجلترا ، فلما طرق
أذنى هذا الخبر فطنت لأنطونيو وتعميت سرّاً ألا يكون ذلك
الموسوقُ من مراكبه

سالانيو : ما أجدرك أن تبلغ أنطونيو ما سمعته ، ولكن مع المراعاة التي تلتطف موقع الخير من نفسه

سالارينو: ما من رجل في العالمين أصلى وداداً من أنطونيو . حضرت وداعه لباسانيو وسمعته يقول له : « لا تعجل عودتك كما تقول ، ولا تهمل شؤونك من أجل ، بل امكث ما دعت الحال . أما صكّ اليهودى فلا تخطره على بالك ، ولا يشغلك عن غرامك ، كن فرحاً أو اقصر همك على إرضاء من تحب بأجمل ما تستطيع من الأساليب » وبعد ذلك صافحته بقوة ممتعاً من النظر إليه ، لأن عينيه كانتا مغرورقتين بالدموع ، ثم تفارقا

سالانيو: أعتقد أنه إنما يعيش لخدمة صديقه . لنذهب إليه فنحاول بما في وسعنا من الوسائل أن نخفف من تلك الكتابة التي لا تفارقه

سالانيو: هلم ، هلم

المشهد التاسع

بلمنت - مزارعة في قصر برسيا

« تدخل نريسا يتبعها خادم »

نريسا : أرجو أن تسرع بإمطاة الحجاب فقد حلف أمير أراغون
بيمين الموافقة على الشرط وسيحضر عما قليل للتخير « صوت أبواق »
« يدخل أمير أراغون وبرسيا وحشمهما »

برسيا : هذه هي الصناديق ، أريها الأمير النابه ، إذا اخترت منها
ما فيه رسمى عقد لك على فوراً ، وإن أخطأته كان عليك
يا مولاي أن تنصرف من هذه الديار دون أن تنبس بينت
شفة

الأمير : القسم يقتضى ثلاثة شروط : أولاً ألا أخبر أحداً بالصندوق
الذى وقع عليه اختيارى ، وثانياً إذا لم أضع يدي على
الصندوق الرابع أن أمتنع من الزواج بتاتاً بعد ذلك ، وثالثها
إن لم أوفق لما جئت في التماسه أن أعود أدرأجى من ساعتى بلا
اعتراض

برسيا : هذه هي الشروط

الأمير : أنا مستعد لها ، فأسعدني أيها البخت ، وحقق آمالي منعماً .
 أماى الذهب والفضة والرصاص ، ماذا يقول الرصاص ؟
 من ابتغاني فأعزز بما يبين لأجلى

شكلك لا يعد بشيء يخاطر عليه . ماذا يقول صندوق
 الذهب ؟ لتقرأ ما هو ذلك الشيء الذى يتمناه الأكثرون :
 لانزاع فى أنهم يعنون بالأكثرين جمهوراً العامة الذين
 تغرم الظواهر ، لاكتفائهم بشهادة النظر عن تبطن السرائر
 فهم كأخطاف اللى يبنى أعشاشه فيما برز من أعالي
 الجدران ، فيتعرض بملك للطوارئ والآفات . لن أختار
 ما يشتهيه السواد كراهةً منى لمامشة السوق ، والاختلاط
 بالطغام الجاهلين ، فإليك الالتفات أيها الكثر التقي . أعد
 على عبارتك المنقوشة :

من انتقانى فإنى أهل له وهو أهلى

ما أحسن هذا المقال ! لا ينبغي لأحد أن يخادع القدر ،
 ويصيب من العز أو الجاه أو القدر ما ليس به جديراً .
 حينذا لو كانت الأموال والألقاب والرتب بالكفايات
 لا البراطيل ، إذن لتزعت أعشاب سوء لا تحصى من محصول
 الكرامات الصحيحة ولأخرجت غلالاً قيماً من أكداس

التبن الذى لا قيمة له . لنترجع إلى شأننا : أحسبني كفوفاً لها .
أعطوني مفتاح هذا الصندوق فأرى ما فيه « يفتح الصندوق »

برسيا : الذى وجدته لم يكن حقيقاً بالزمن الذى أضعته فيه .

الأمير : ماذا أرى ؟ رسم أبله يقدم لى قرطاساً . أى شىء فى هذا

القرطاس ؟ ما أقل مشاكلة هذا الرسم لرسم برسيا ! وما

أبعد جوابه عما التمسته آمالى ! ألم أكن جديراً إلا برسم أبله ؟

أهلنا كل ثوابى ؟ أوم يلقى لى غيره !

برسيا : الخسومة والحكومة نقيضان لا يجتمعان فى واحد

الأمير : لتقرأ ما فى القرطاس :

من راضه ألم الخطوب فإننى

بالنار قد مُحصت سبع مرار

من عاش لم يأمن على طول المدى

خطلا يبادره وسوء خيار

فى الناس مخدوع يقبل ظله

فينال ظل سعادة وفخار

وقى نخل العقل مثلى بينهم

فى مظهر متألق غرار

أنى تكن ما أنت إلا مشبهى

فاحمل حمولك وانج من ذى الدار

مهما أطل الإقامة هنا بعد ما كان فلا أزداد إلا ظهوراً
 بمظهر الحماقة . جثت برأس أبله وأعودُ برأسين . أستودعك
 الله أيتها الزهراء . سأبر بقسمي لأحسن تملك نفسي وكظم
 غيظي « يخرج الأمير مع حاشيته »

برسيا : كذا احتراق الفراشة بالنور . هؤلاء المجانين الذين جفت
 حواسهم لم يبلغوا من المهارة إلا إتقان الخسارة
 نريسا : صدق من قال إن المشنقة قضاء والزواج نصيب
 « يدخل خادم »

الخادم : أين السيدة ؟

برسيا : ها هي ذى . ما تبتغي منها ؟

الخادم : ياسيدتى بالباب رجل من البندقية جاء مبشراً بقدم مولاه
 مهدياً إليك مازكاً من التحيات ، وما غلا من الخلى السنيات ،
 حتى لحيل إلى أن شهر نيسان ، وهو مزدان بزينات الربيع ،
 لا يتقدم الصيف بأجمل وبأرق . بما يتقدم هذا الخادم
 الأديب مولاه الآتى فى إثره

برسيا : كفى ، لا تزد ، فقد خشيت أن تضيف إلى هذا الإفراط فى
 الثناء أنه من أقربائك . تعالى نريسا ننعغ غلة شوقنا برؤية
 ذلك الرسول الذى جاءنا بهذه المحامد كلها

نريسا : باسانيو . وفقه أيها الغرام « تخرجان »

الفصل الثالث

المنظر الأول

البندقية - جادة

« سالانيو وسالارينو »

سالانيو: ما أخبار الريلتو ؟

سالارينو: ثبت ما شاع عن غرق مركب لأنطونيو ثمين الأسواق في ذلك المضيق الذي يسمونه على ما أظن جودونس ، وهو مكان بعيد الغور ، دفن فيه مالا يحصى من الجوارى المنشآت ، إن صح ما تزعمه العجائز المنبتات

سالانيو: معاذ الله أن يكون ما سمعته إلا بهتاناً من أسخف قعيدة أكلت فطير البرطمان ، وأوهمت جاراتها أنها تبكى ثالث أزواجها . ولكن النبا الصحيح الذي يبعث الأسى والأسف هو باختصار القول - منعاً للإسهاب وأخذاً بالمألوف من الكلام - أن أنطونيو النبيل ، أنطونيو التزيه ، أنطونيو الجدير بأشرف التعوت التي نعت بها إنسان . . .

سالارينو : هلم لى الواقع
 سالانيو : ماذا تقول ؟ الواقع . . . هو أن أنطونيو فقد مركباً
 سالارينو : عسى أن تقف خسارته عند هذا الحد بإذن الله
 سالانيو : أبادر بالتأمين مخافة أن يعارض الشيطان هذا الدعاء ،
 ولا سيما وما هو ذا الشيطان بنفسه قادم إلينا فى زى يهودى

« يدخل شيلوخ »

سالانيو : « متساءً شيلوخ ! ما أخبار التجارة فى مصفق الريلتو ؟
 شيلوخ : أنت أعلم من علم بفرار ابنتى
 سالارينو: لا جرم أنها فرت ، وأنا أعرف الخياط الذى صنع لها
 ما طارت به من الأجنحة
 سالانيو : وشيلوخ كان يعلم أيضاً أن للطائر ريشاً ، وأن العصافير متى
 راهقت سنناً معلومة ، فارقت وكر أبوياها
 شيلوخ : لتهلك بما خطت
 سالارينو: لا محالة أنها هالكة إذا كان الشيطان قاضياها
 شيلوخ : يشور بى دى ولحمى
 سالارينو: أف لك من فاسق مزمن ، أفى هذه السن تخاطر لك
 الشهوات ؟
 شيلوخ : أعنى ابنتى ، وهى لحمى ودى

سالارينو: بين بلدك وبلدنها من الفرق ما بين السبج والعاج ،
وبين دمك ودمها من البون مثل ما يختلف النبيذ الأحمر
عن النبيذ الأبيض . لكن أنت مخبرنا : أعلمت أن أنطونيو
أصيب بخسارة في مشحوناته بجرأ

شيلوخ : وهذه مسألة لم تكن لي رابحة . مفلس مسرف لا يجرؤ أن
يتراءى في الريلتو - بائس . . . كان يجيء المصنق متبخترأ
حذار أن يتأخر عن الوفاء في صكه . كان يدعو مرابياً .
إياه أن يغفل ميعاد خطه . كان يقرض القود إقراض
نصارى على سبيل الإحسان . ليخش أن يبطئ عن أداء
ما عليه في حينه

سالارينو: ما أظنك إن تأخر عن إعطائك المال تتقاضى بضعة من
لحمه . أتفيدك في شيء ؟

شيلوخ : تفيدني في إعداد طعم للسماك ا ألا يكفي أن أستخدمها
في شفاء غليلي ، والانتقام لنفسي . هو الذي جلب على
التحقير والإزراء ، وحال دون اكتسابي نصف مليون فوق
ما اخترنت . سخر من خسارتي ، وهزئ من أرباحي وسب
قومي ، وعارض أعمالى ، ونفر منى أصدقائى ، واهتاج
أعدائى . ولِمَ كل هذا ؟ لأننى يهودى . أليس لليهودى
عينان ؟ أليس لليهودى يدان وأعضاء وجسم وحواس

ومودات وشهوات ؟ أليس غداؤه مما يتغذى به النصراني ؟
 أليست الآلة التي تجرح أحدهما تجرح الآخر ؟ أليس العلاج
 الذي يشفى ذاك يشفى هذا ؟ أليس الشتاء والصيف واحداً
 لكليهما ؟ ألسنا إذا وخزتمونا ننزفُ دماً ، وإذا دغدغتمونا
 نضحك ، وإذا سقيتمونا السم نموت ، وإذا آذيتمونا
 نتقم ؟ فنحن نشبهكم بهذا كما نشبهكم بكل ما سواه .
 أما جزاء اليهودى الذى يضر بمسيحي أن يثار منه ؟ إذن
 فاليهودى وقد اتسبى بأسرة النصراني أن يثار منهم إن أضروا به
 سأعاملكم بمثل الشدة التي تعاملوني بها أو أزيد

« يدخل خادم »

الخادم : أيها السيدان ! مولاي أنطونيو يتغنى لقاء كما وهو الآن في
 داره

سالارينو: نحن في البحث عنه منذ هنيهة

« يدخل طوبال »

سالانيو : ما أشبهه الليلة بالبارحة ، ومن توخى ثالثاً هذين اليهوديين
 الأخوين لم يجده إلا أن يتهود الشيطان

« يخرج سالارينو وسالانيو والخادم »

شيلوخ : ما ورايك يا طوبال ؟ أوجدت ابنتي في جنوا ؟

طوبال : خوطبت عنها في أماكن جمّة ، ولكنني لم أتوصل إلى عرفان موضعها

شيلوخ : يا للخسران ! اختلست مني ألماسة بيعت على في فرانكفورت بألني دوق ، الآن قد طفقت اللعنة تحمل على أمتنا حلولا لم أشعر به من قبل : ألفا دوق فقدتها عند مصوغات آخر غالية ، وأيّ غلاء . من لي بابنتي ميتة عند قدي والأماستان في أذنيها ؟ من لي بها ممدودة هنا أمامي على وشك أن تحمل في نعش وتحمل معها اللدقيات ؟ عجبا أما من نبأ عنها — هكذا — ويعلم الله كل ما سأنفقه حتى أجد تلك الضالة خسارة فوق خسارة : كذا للسارق وكذا للباحث عنه . ثم لا ترضية ولا انتقام ، كل الرزايا تنصب على رأسي وحدي ، فلا زفرة إلا ما تصعبه أنفاسي ولا عبرة إلا ما تصوبه عيناى طوبال : لست فداً في تعرضك للنواب ، فقد علمت في جنوا أن أنطونيو

شيلوخ : ما تقول ؟ ويل ويل . . .

طوبال : فقد سفينة من سفنه قادمة من طرابلس

شيلوخ : حمداً لله ، حمداً لله ، أيقين ؟ أيقين ؟

طوبال : كلمت نواتية نجوا من الغرق

شيلوخ : وحمداً لك يا صديقي طوبال . نعمت الأخبار ، نعمت

الأخبار . أين ؟ في جنوا ؟

طوبال : سمعت أن كريمتك أنفقت ثمانين دوقياً في ليلة واحدة يجنوا

شيلوخ : تطعنى بخنجر في قلبي . لن يعود إلى ذهي ، ثمانون

دوقياً صبرةً واحدة . ثمانون دوقياً ؟

طوبال : في رجوعى إلى البنديقية تسقطت من أقوال بعض الدين يدينون

أنطونيو أنه لا بد له من التفليس

شيلوخ : يافرحاً بما قالوا ! سأعديبه . سأنكل به . . . يا للسرورا

طوبال : أرانى أحدهم خاتماً نفحته كريمتك به لتحلية قرْد أعجبها

شيلوخ : ويحها من تاعسة ! تقتلى يا طوبال ! تلك زبرجلى

التي اشتريتها من ليحا أيام عزوبتى ، ولو أعطيت بها

فرقة من القردة لما أعطيتها

طوبال : لكنه ثابت أن أنطونيو قد خرب

شيلوخ : نعم . هذا يقين كل اليقين . اذهب يا طوبال ، أوجد

لى سجاناً يجعله تحت تصرفى ، قبل حلول الأجل

بأسبوعين . فإن لم يؤدّ ما عليه لم يكن لى بد من تمزيق قلبه ،

ومتى نخلت منه البنديقية ، فنى وسعى أن أفعل فيها ما أشاء •

اذهب . اذهب طوبال . ثم ألحق بى فى الكنيس . بتدار

يا طوبال

المنظر الثاني

بلمنت - مزارعة في قصر برسيا - الصناديق مكشوفة

« يدخل باسانيو وبرسيا وأتباعها وفراتيانو ونريسا »

برسيا : أبتهل إليك ألا تتمجل . تريث يوماً أو يومين قبل الاقتراع ،
 فإذا ساءت خبيرتُك ، لم يفتنا أنسك وعشرتك . رويدك
 رويدك . في قلبي شيء . وهذا الشيء ليس بالغرام - يوحى
 إلى أن فقلك مساءة لي . على أن مثل هذا الوحي لا يجيء
 من البغضاء . ولأزيدك مكاشفة بما في ضميري ، دع أن
 الأجدر بالفتاة ألا يكون لها من اللسان إلا فكرها ، أقول
 لأنني أتمنى استبقائك ههنا شهراً أو شهرين قبل المخاطرة
 بمستقبلك من أجل . وقد يجيش بي أن أعلمك كيف تحسن
 الخيرة ، لكنني إذن أكون حائرة ، ومعاذ الله أن أكونها أبداً .
 إلا أنني لو لم أرشدك وتعذرَ عليك الفوز بي ، لاشتد أسنى ،
 من كوني لم أحنث . ويحي ! إن عينيك نظرتاني فقسمتاني
 إلى شطرين : شطر لك وشرط لك ! كان ينبغي أن أقول
 - لي - في الثانية لكن سبق لساني ، لأنني لك وما بقي لي

فهو إذن لك . يا للقضاء البخائر أقام حاجزاً بين المالك ومملكه
فأنا لك ، ولكننى ربما لا أكون لك . فإذا جرى الحكم على
هذا فلا وقعت التبعة إلا على مصدر الحكم لا على . أفرطت
في الثرثرة ، ولكن لا لإضاعة الوقت بل لإطالته بتأخير اقتراعك

باسانيو : دعيني أختبر فينى في أشد العذاب

برسيا : في أشد العذاب يا باسانيو ، فلا بد من خيانة تحت هواك ،
والأولى أن تقرّ بها

باسانيو : لا خيانة ، ولكن خشيةً فقدى من أهواه ، وقد يكون أيسر
أن تأتلف النار والثلج من أن تأتلف الخيانة وحبى

برسيا : سوى أنى أخشى أن يكون كلامك إكراهياً أشبه بما يجربه
الأم على الألسنة قسراً

باسانيو : عدينى بالحياة أترف لك بالحقيقة

برسيا : اعترف وعش

باسانيو : كان يجب أن تقولى ، أقرر وأحبب ، لأن إقرارى لا يزيد
عن معنى هاتين اللفظتين ، ما أعذب ذلك العذاب الذى
يعلمنى مسببه كيف أنجومنه . لكن دعيني أعرف بخفى
بين هذه الصناديق

برسيا : إليها ، وأعانك الله . إنى فى أحدها ، فإن كنت لى

عجباً اهتمديت إلى - « إن الأبحاح » أي نريسا ، أي هؤلاء جميعاً ، تنحوا قليلاً - لتعزف الموسيقى مدة خيرته ، فإن نحسر كانت نهاية هوانا في النغم ، كنهاية ذلك الطائر العوام الذي لا يجيد في حياته إلا صوتاً يتغنى به قبيل وفاته . وإلتامام الشبه أجعل عندئذ عيوني الماء الصافي الذي يقضى فيه ذلك الهوى نجبه . أما إذا كسب فكيف يكون النغم إذن ؟ ليكن نغمًا في الأصوار بعيد الصدى ، كما يكون حين تجشو الرعية المخلصة لدى ملكها المتوج حديثاً ، أو كذلك اللحن الشجي الذي يشدوه السعد في أذن الخطيب صباح اليوم الذي تتحقق فيه أحلامه ، ويتأهب لعقد القران على عتبة الهيكل . ها هو ذا يتقدم بأقل جلالاً ولكن بأكثر غراماً من الفتى الشجاع « السيد » حين أنقذ البتول التي قربتها قبيلة طروادة باكية منتحبة للوحش البحرى . على أنى أشبه بتلك الفتاة المقدمة للتضحية : أجد الدين حولى مستعدين كالطرواديين يتوقعون الختام وأقول : أما ما يا هرقل ، عش فأعيش - أنا شاهدة القتال سوى أنى أشد تأثراً . منك يا من يقدم عليه

« تسمع الموسيقى خلال نظر باسانيوفى الصناديق وتساوره »

صوت ينشد :

أين مكان الهوى ومنبتُه

في العقل أم في الفؤاد مولده

ومن مباء به الجلال فقد

دال من المالكين أيّده

آخر ينشد :

تلك العيون السواهي

للحب من مهود

إن يسقيه اللحظ تاراً

قضى وهن اللحدود

الجمع ينشد :

ليهتف هتاف الأسي

ويسمع نواح الأسف

يخف صريع المنى

ويودى صريع الشغف

باسانيو: نعم يقرب من الاحتمال أن أبهج غلاف بظاهره يمتوى على
أشنع شيء . هكذا تخدعنا زينات الناس في الغالب من
الأمر . أتوجد في القضاء دعوى سيئة لا يتولى الدفاع فيها
منسطبق مقنع يغطي معاييبها بتأثير فصاحته ؟ أيرجد في العقائد
خطأ مهلك لا يجهد أحد المنتطسين العابسين أن يحلله
بنصوص قاطعة ويخبأ ما به من السم تحت أزهار يزينه بها ؟
هل في المثالب واحدة لا تلبس لدى الإبصار بعض ملابس
المحامد ؟ كم من جبان لا تختلف شجاعته عن مدرجة
من الرمل ولكنه يغشى ذقنه بمثل لحية هرقل الصنديد أو
لحية المريخ العنيد . لو استشفت بواطن هؤلاء الرعايد
لوجدت أكبادهم بيضاء كاللبن ، سوى أنهم سرقوا تلك
الإمارات المهيبة ليداجوا بالبطنش والبأس . انظروا إلى
الجمال تجذوا جواذبه مجلوبة من حانوت التاجر ؛ ومن غريب
ما تحدثه الطبيعة في هذا الباب أن أكثر النساء حمولة من
الحاسن المستعارة ، هن اللواتي لا يطول الزمن بزيناتهن
فإذا رأينا عند بعضهن ذلك الشعر الذهبي الذي تتلوى صفائره
تلوى الثعابين ، وتتجاري بين غدائره لواعب النسمة لم
يكن إلا زخرفاً باطلا ورثه الرأس المتباهى به عن رأس
أصبح بالياً في القبور . فالتبرج إذن ليس إلا زينة الشاطئ

الذى ينزل منه إلى البحر الزاخر بالأخطار ، أو هو الشف
 اللامع ، الذى تحتجب وراءه هجته هندية . أو هو
 ما ترقديه الخيلة من مشابهة الحقيقة لتأخذ الحكيم فى أشراكها .
 لهذا أنبلك أيها الذهبُ البراق طعامُ ميداس ، كما أنى
 أنبلك أيتها الفضة فإنما أنت ذلك المعدن الشاحب
 والأداة المتبدلة فى التداول . بين الناس . أما أنت أيها
 الرصاص . المستخس الذى لا يغش العيون ، والذى تغرى
 سلاجه . الصامته أشد من إغراء الفصاحة ، فإنك أختار لعلك
 تكون نجياً سعدى ، ومبعث هنأى .

برسيا : أرى كل العوامل قد تبددت فى الهواء من هم مقلق ،
 وخوف مؤرق ويأس ليس بإحدى الراحين ، وغيره مخضرة
 العين ، حاشاك أيها الغرام الذى استبلح قواها ، واستجى .
 حماها ، فبحقك إلا ما ترفقت بى ؟ وتلطفت لى ، وخففت
 من غلوائك ، وهدأت من سورة سرائك ، فقد خشيت أن
 ينوء بحملك قلبى ، ويقضى بفضلك نحي

باسانيو : « فاتحاً صندوق الرصاص » - ماذا أرى ؟ أرسم برسيا ؟
 أى ملك تنزل من سماءه فتجلى فى هذه الصورة الإنسانية ؟
 يا عجباً لها تين الحلقتين ؟ أهما تتحركان أم أنا وأهم ؟
 يا عجباً لهذا الثغر ! لم تكذ شفتاه الرقيقتان تفرقان على
 تاجر البنتية

ما بينهما من الهوى إلا لتأذنا أرج الأنفاس بتعطير الهواء .
يا عجباً لذلك الشعر ! كأن أمهر الرسامين عندما نظمه
قد حاك من خيوطه الذهبية حباله تؤخذ بها القلوب ، كما
تؤخذ دقاق الهوام بنسج العنكبوت . ولكن البدع كل البدع
في العينين ، كيف استطاع ذلك المصور أن يحدق
فيهما ليحسن تمثيلهما ؟ أما الكمال فانظروه في الأصل لاني
النقل . وما أبعد ربة الجمال عن أن يضارعهما الخيال . فلأمتع
الآن طرفي بما كتبه الحظ في هذا القرطاس من آيات
سعدى : « يقرأ »

يا من رأى باطلاً فر به
ولم يزغ في طلائه نظره
يهتك العقل لم يصل به
مغويه والسعد راجحاً خطرُه
لئن تكن قد حظيت بعد جوى
كما يصيب الجزاء منتظرُه
قبل محيا العروس منتبطاً
فالعمر قد طاب والى ثمره

حبذا هذه الأقوال الشائقة . إذنا أيتها السيدة « يقبلها »
 أتيت وهذه الورقة في يدي - لأقبل وأقبل مشبهاً بللك
 صاحب الفوز في الصراع المشهود . فهو إذا سمع تصفيق
 المتعجبين ، وتهليل المعجبين ، جمد مكانه ونظر حواليه
 مرتاباً فيما إذا كان ذلك التمداحُ موجهاً إليه . وما موقفي هذا
 إلا كوقوفه ذاك ، أكاد أرتاب فيما أرى وأرقب لتصديق
 ما جرى أن تجيبني إلى ما قدمت وثبتني وتحقني ما اغتنت
 أيها الهمام باسانيو ها أنا ذى لديك كما أنا ، ولولا
 أمر جدّته في نفسي لاجتزأت بالنعم التي منحتها ولم
 أستزد . لكنني غدت متمنية من أجلك لو رجحتُ ستين
 مرة على ما أعادل اليوم ، ولو كنت ألف مرة أجمل ،
 وعشرة آلاف مرة أوسع جاهاً . فتكبر حظوتي في عينيك ،
 ولو كان لي من الفضائل والحاسن والأموال والأصحاب عدادٌ
 لا تنفد . إلا أنني ولا فخر غير خالية من شيء يقدر بقدر
 فإنما أمامك فتاة معصر نقية غرة ، تعتمد من لطف
 العناية بها كونها لم تزل لدنة صالحة للتقويم . ومن سعد
 طالعها أنها ليست من الجهل بحيث تستعصى على التعليم ،
 ومن تمام نعمائها أن عقلها طيع يدعوها إلى إلقاء زمامها عن
 رضّى بين يديك ، والإقرار عن خضوع بأنك سيدها ،

برسيان :

وأمرها ، ومليکہا .. فأنا وكل ما لي قد أصبحنا لك اليوم :
 كان قبلا هذا القصر المشيد قصرى ، وكنت مولاة خدى
 وحشى ، وكان بيدي قياد نفسى . أما الآن فالدار
 والتبع والمتبوعة فى تصرف بنائك يا ولى أمرى . وهبتك أولئك
 جميعاً . وأزيدك هذا الخاتم الذى أوصيك بحفظه ، وبأن
 تحرص كل الحرص من إضاعته ، أو فقده ، أو مفارقتة ،
 فإن ذلك ليندرنى بتحول قلبك عنى ، ويخولنى حق الشكاية
 منك

باسانيو : لقد أعجزتنى يا سيدتى عن التفوه بلفظة واحدة ، فما فى
 من متكلم إلا دى الذى يمحش فى عروقى ، وأشعر
 باضطراب فى أفكارى أشبه بغوغاء الجمهور إذا ألقى عليهم
 أمير كريم ، كلمات محبته ، فاختلطت عواطفهم فى
 إحساس واحد اجتمعت عليه كل تلك النفوس : إحساس
 الفرح بين صامت ، أو صائت ، فاعلمى أن حياتى
 تفارقنى قبل أن يفارق هذا الخاتم أصبعى ، وإذا ذلك لك أن
 تقولى : « مات باسانيو »

نريسا : إن سعد كما هذا لسعد طالما تمنيناه ، فأجيزا لنا يا سيدتى رفع
 تهنتتنا إليكما : ضفاجاً وهناءً .

غراتيانو : يا سيدى باسانيو ويا سيدتى ! أدعو لكما بما تشتهيان

من صنوف النعم ، واثقاً من أن آمالكما لن تهادى
إلى الإضرار بتحقيق أمانى ، وعلى هلبأ أستاذكما
بأن يكون عقد قرانى فى نفس اليوم الذى ستعيثانه
لعقد قرانكما

باسانيو : إذا وجدت الحليلة فلأنا لتأذن بارتياح
غراتيانو : لقد ظفرت ، ولك الشكر يا سيدى ، بالتى أرغب
فيها ، فإن عيني لا تقلان فراسة عن عينك ، وقد لمحت
التابعة ، كلمحك المتبوعة ، فأحببت كما أحببت
وشبيت كما شبيت ، وكما كان حظك منوطاً بهذه الصناديق
كان حظى منوطاً بنجاحك ، إذ أنى بعد تجشمى عرق
القربة لاستمالة هذه الغانية ، ولإبحاحى صوتى فى الإقسام لها
على ضيق غرامى لم أفر منها إلا بوعد: وهو أنها تقترن بى إذا
أنت وفقت للاقتران بمولاتها

برسيا : أكدا جرى يا نريسا ؟
نريسا : نعم يا سيدتى ، إن كان فيه رضاك
باسانيو : أجد ما تقول يا غراتيانو ؟
غراتيانو : جد فى النهاية يا سنيور
ياسانيو : نعد من متممات فرحنا أن يقام عرسنا وعرسكما فى آن
غراتيانو : « نريسا » — لراهن بعشرة آلاف دوق على من من من

فريقينا يجي بأول ولد . أسمع قديم أناس . . . هذا لورنزو
وكافرتة ، وهذا صديق القديم سالريو البندق
« يدخل لورنزو وجسيكا وسالريو » .

باسانيو : لورنزو وسالريو ا مرجباً بكما ، إن كان يسوغ لي على
حدائة عهدى هنا أن أحتنى بمواطنى وأصدقائى . أتأذنين لي
يا برسيا ابحميلة أن أرحب بهم ؟

برسيا : لقد لقوا أهلاً ، ونزلوا سهلاً

لورنزو : حمداً لك يا مولاتى . أما أنا يا سيدى فلم يكن مقصدى
هذا القصر ، لكننى صادفت سالريو فى الطريق ،
فلج حتى أوجب مجيئى معه

سالريو : هلنا ما حدث يا سيدى ، وكان لذلك عندى سبب .
إليك كتاباً من السنيور أنطونيو . حملنى إياه وأوصانى أن
أذكره لديك « يعطيه الكتاب »

باسانيو : « قبل نفس الكتاب » كيف صديق الأعرز ؟

سالريو : ليس بمريض ولا بجماعى ، إلا أن تكون الصحة أو العلة فى
الروح لا فى الجسم ، ولكنك ستعلم من رسالته حقيقة حالته

غراتيانو : « مشيراً إلى جسيكا » نريسا ، أكرمى وفادة هذه الأجنبية
واحتنى بها . يندك يا سالريو . أى جديد فى البندقية ؟

كيف أنطونيو أمير التجار وكيف أعماله ؟ أنا موقن
أنه سيفرح لأفراحنا . نحن من آل جازون قد غنمنا
الجزأة الذهبية

سالريو : ليتكم كسبتم ما خسر

برسيا : لا بد أن تكون في هذا الكتاب أنباء رائعات ، فقد امتنع

وجه باسانيو ، وما يغير وجه الرجل الكريم مثل هذا التغيير
السريع إلا أن يفقد صديقاً من أصنى أصفياه تهون في جنب
رؤته فوادحُ الأرزاء . عجباً ! أرى ازدياداً في أسفه— إيلن
يا باسانيو : إني شطر منك الآن ، وأطلب بقوة حصني

من مضمون هذه الرسالة كائنًا ما كان

باسانيو : يا حبيبي برسيا ! لم تسود الصحف في يوم من الأيام

بمثل ما سودت به هذه الصحيفة من السطور المشؤومة .
عندما فانتحك بغرامى لأول عهدنا ، أقررت لك بأن ما بقي
من ثروتي لم يكن إلا الدم البخارى في عروقي : دم ماجد
شريف . على أنى أيتها الصفية الرقيقة ، مع صدقى بإبلاغك
أنى لم أكن شيئاً مذكوراً ، قد غاليت فقومت نفسى ، بما
يفرق قيمتها كبيراً ، وكان الأجدربى أن أصارحك بأنى
أقل من لاشيء : ذلك لأنى استخدمت ضمان صديق
عزيز للحصول على مال أفضى به حاجاتى ، فعرضته

بللك لألد أعدائه وأشد مبغضيه . هذا كتاب ياسين في
درّجه جسم صاحبي ، وكل كلمة في الدرّج جرح نخين
في الجسم يتدفق منه الدم وتندفع في أثره الحياة . ولكن أحق
ياسالريو أن كل تلك المواضع تكبت ؟ عجباً ! ألم ينبج
واحد منها ؟ أو لم تصل سفينة فلة من تلك السفائن العالدة
من « طرابلس » أو « المكسيك » أو « إنجلترا » أو « لشبونة »
أو « الهند » بلا استثناء ؟ أكلها أبادته الصخور ، وألقت به
في أعماق البحور ؟

سالريو : : كلفها باد بلا استثناء . وما يزيد الشجن أن اليهودي ،
فما ظهر منه وتحقق ، يأتي المال لورد إليه الآن . ذلك
مخلوق ، على كونه في شكل إنسان ، ما رأيت في غابر
أيام أشد منه تكالبا للتكليل بخصمه ، فهو من الصباح
إلى المساء لاحق بالدوج ملح أو ملحف يتقاضى شرطه
مجاهر بأنه لا يبقى للعدل في الحكومة معنى . إذا لم يعن على استيفاء
حقه ، وقد خاطبه عشرون من التجار كما خاطبه الدوج نفسه ،
والملاّ الأكرمون من الأعيان ليعتدل في أربه ، ويعدل عن
طلبه فأي مصراً ، ولم يتمكنوا من تليين قلبه الجافي المليء
بالضغن .

جيبكا : : عندما كنت معه سمعته بحضرة طوبال يهمن لمشايخه في

الدين يقول : إنه يؤثر البضعة من لحم أنطونيوس على عشرين ضعفاً للقدر الذي أقرضه إياه ، وأنا متحقة من أن أنطونيوس المسكين إذا لم يؤزره القبايون أو أولياء الحل والمعتد لم يفلت من مخالب الخطر .

برسيا : أذلك الرجل الواقع في هذه الأزمة الشديدة حبيب إليك ، عزيز عليك

باسانيو : هو أصنى إخوانى وأوفى أصدقاءى ، هو فى الرجال الأشهم الأجد ، الأكرم الأعد ، هو الإنسان الذى تراعى فيه الروح الرومانية أصنى ما كانت ، وأنى ما هى كائنة فى نفس إنسان من بنى إيطاليا

برسيا : ما الذى عليه لليهودى ؟

باسانيو : عليه له ثلاثة آلاف دوق أخلقتها أنا

برسيا : أهذا كل المقدار ؟ اردد إليه ستة آلاف ، وليمزق ذلك الخط . ضاعف له هذا الزهاء ، أو أعطه ثلاثة أمثاله حرصاً على شمرة من رأس صديق كهذا أن تضيع لأجله .
باسانيو . اصحبى بعد هنيهة إلى البندقية لتتخلنى عروساً لك .
ثم اذهب من فورك إلى البندقية لإسعاف صاحبك ، إذ أن برسيا لا ترضى إقامتك بجانبها ونفسك قلقة ، وأيما مبلغ من الذهب يجب لإيفاء ذلك الدين الصغير ، حتى

لو أُرْبِي على أصله عشرين ضعفاً ، حمل إليك بلا إبطاء
 فإذا قضيت هذا الحق عدت بصاحبك لنا تنس به ،
 وفي خلال هذه المدة سأعيش أنا ونريسا عيشة بتولين وأبسين .
 هلم بنا ، وإذا كان قد تحمَّ عليك هذا السفر في يوم عرسك
 فلا يصددك ذلك عن المشاشة لإخوانك ، ولا يروا منك إلا
 وجهاً ضحوكاً . سأغلي قدرك بنسبة ما قد أغليت مهرك ،
 ولكن فاتك أن تسمعنا شيئاً مما كتبه صاحبك

: « قارئاً » : « صديقي باسانيو . ارتطمت جميع مراكبي ،
 وأصبح الدائنون لي بلا شفقة . شؤون تجارتي في درك
 الانحطاط ، ولم يتسن لي افتكاك نفسي من حق اليهودي في
 الأجل المضروب ولما كنت لا أستطيع التحرر مما عليّ إلا أن
 أفتدى الدين بحياتي ، عولت على ذلك مبرئاً ذمتك من كل
 ما تسلفته مني ، راجياً أن أراك قبل وفاتي ، وما أكلفك الهجى »
 إلا تبعاً للتيسير ، وعلى أن يكون باعته وحى الصداقة إليك
 لا تثقيل هذا الكتاب عليك »

برسيا : أي حبيبي ! تجهز عاجلاً ، وسرّاً
 باسانيو : أما وقد أذنتني بالسفر فلاني لمبادر ، ولن آوى إلى مضجع أو
 ألتمس شيئاً من الراحة فيعوقني أدنى عرق عن سرعة الرجوع
 « يخرجون جميعاً إلا برسيا ونريسا وبلتزار »

المشهد الثالث

البندقية — جادة

« يدخل شيلوخ ، سالتيو ، أنطونيو ، سجان »

شيلوخ : سجان ، احرص عليه . لا تلمس مني رحمة — هذا هو الأبله الذي كان يقترض النقود احتساباً . سجان ، إياك أن يفلت

أنطونيو : تفضل بالصغر إلى أيها السميع شيلوخ

شيلوخ : أتقاضى حتى ولا أريد أن أسمع كلاماً في هذا المعنى أقسمت إلا ما تنجزت حتى . لقد كنت تدعوني كلباً بلا ذنب مني ، فإن كنت الكلب الذي تصفه فاصبر لنكر أنيابي . سينصفني الدوج . من العجب أيها السجان البليد أنك تلين له هذه الليونة ، وتخرجه من معتقله إجابة للتمسه

أنطونيو : أتوسل إليك أن ترعيني سمعك

شيلوخ : أطلب حتى ولا أروعيك سمعي ، حسبك ضراعة لا تفيد : لست من أولئك الأغبياء الذين إذا استعطفوا هزوا رؤوسهم ، ونفسوا كرههم بتصعيد أنفاسهم ، ثم أجابوا النصارى إلى

رغائبهم . دع متابعتي . لن أستمع لك إنما أتقاضى حتى « يخرج »
 سالانيو : لم يرزأ الناس ومعاملاتهم بأظلم من هذا الضاري
 أنطونيو : عدت عنه . حسبي لحاقاً به وتضرعاً إليه بغير جدوى .
 يعني حياتي وأعرف السبب في ذلك : فهو ينتقم لإتقاضي من
 مخالفه غير واحد من المقترضين الذين استعانوا بي عليه ، وهذا
 سر بغضائه

سالانيو : يقيني أن اللدوج لا يأذن بإنفاذ تعهد كهذا
 أنطونيو : لا يستطيع اللدوج منع القانون من الجري مجراه ، فإذا
 أرابت الحكومة في تأويله أساء الأجنب ظنهم بعلما ،
 وخشوا على الامتيازات المخولة لهم ، فكان في ذلك خطر على
 مدينة كاليندقية قوام ثروتها تجارتها مع الأمم الأخرى .
 لنتصرف . إن أحزاني ومصائبي قد شفقتني حتى لا أعلم إن
 كانت قد أبقت لليهودي القدر الذي سيتقاضاه غداً من
 لحمي . سرتي أيها السجنان . سرتي . عسى الله أن يرسل
 إلي ياسانيو فأراه ، ويراني وافيأ دينه ، فأموت عندئذ راضياً
 « يخرجان »

المشهد الرابع

بلمنت - مزارة في قصر برسيا

« تدخل برسيا ونريسا ولورينزو وجيبिका وبلتزار »

لورينزو : أجزؤ أن أقول بحضورك إن رأيك في الصداقة الخالصة رأى صادق شريف ، وإنك قد أيدته بتخملك فراق زوجك في مثل هذا اليوم ، ولكنك لو عرفت من الرجل الذي تسدينه هذا المعروف ، وما شرفه ، وما مودته لقرينك ، لكنت أشد افتخاراً بهذه المنة منك بأية منة أوليتها من قبل

برسيا : لم أنلم مرة على الإحسان . فما أبعدني الآن عن النلم ، ولا سيما أن الصاحبين إذا طال تعاشرهما ، واختلاطهما تألف قلباهما وتوائمت نفساهما بعري الصداقة ، فلا بد من تشابه بينهما في الخلق ، أو الخلق ، ومن ثم اعتقدت أن أنطونيو هذا لا بد أن يكون على شاكله زوجي ، بسبب ما بينهما من متين العلاقة ، فالثمن الذي اشتريت به من القسوة الجهنمية ذلك الصديق الخلق على مثال زوجي لا يكون إلا بخساً لكن أراني استدرجت إلى ما يشبه التمدح ، فلتحول عن

هنا المعرض إلى معرض آخر . يا لورنزو أرغب إليك في
تولى إدارة بيتي إلى أن يعود بعلي ، أما أنا فقد نلذرتُ لله
سراً أن أعيش في النسك ، والدعاء . والاعتزال ، إلا عن
نريسا إلى أن يرجع بعلانا ، وستقيم في دير قريب لا يبعد
إلا ميلين عن هنا المكان ، فرجائي ألا تمتنع من إجابة هنا
الطلب على ما تقتضيه المودة وأسباب غيرها أئيدات

لورنزو : أوافق على ما تريدينه يا سيدتي بكل قلبي وما أطوعني
لأمرك في كل أمر مشروع

برسيا : سأمر أتباعي أن يكونوا منذ الساعة رهن إشارتك كأنك
باسانيو ، ورهن إشارة جسيكا كأنها أنا . أستودعكما الله
في صحة ونعمة إلى أن نلتقي

لورنزو : منحك الله صفاء البال وصفاء الوقت

جسيكا : أرجو لك ياسيدتي قرّة العين ومسرة الفؤاد

برسيا : أدعوا لكما بمثل ما دعوتما لي . أراك بخير يا جسيكا

« تخرج جسيكا ولورنزو »

برسيا : « نعمة » : إليك بخطابتي الآن يا بلتزار ، أود لو وجدتتك
اليوم على ما عهدته فيك من الوفاء والمضاء في الامتثال .
فاحمل رسالتي هذه بأسرع ما استطاع إلى مدينة بادوا ،

إلى ابن عمى الدكتور بلاريو ، فإذا أسلمته إياها يداً بيد ،
فتسلم منه الأوراق والملابس التي يعطيها ، وحيء بها كلمح
الطرف إلى موسى السفينة التي تجول عادةً بين القارة
والبندقية . لا تضع وقتاً في الكلام ، بل سافر وسأسبق إلى
الموعد

بلتزار : سيدتي سأبادر جهده المبادرة « يفرج »
برسيا : تقدي نريسا ، أنا عازمة على أمور ما زلت تجهلينها فاعلمي
أنا سنلتى زوجينا قبل الوقت الذي يظنان
نريسا : وهل يبصرانا ؟

برسيا : بلا ريب يانريسا ، ولكن في زى يوم أنا غير منقوصتين
ما نقصته أجسام النساء : بمعنى أنا متى لبسنا لبس
الفارسين الشارحين راهتلك على ما تشائين ، إنى سأنقلد
خنجرى بلباقة لا يستطيعها الرجل ، وسترين كيف أرقق
حيثل صوتى فأجعله ناعماً كصوت الغلام المراهق ، وكيف
أحول هذه المشية الحوية إلى مشية الذكر المتباهى ، وكيف
أتكلم عن مشاجراتي تكلم يافع جميل فخور ، وكيف أستدر
الأكاذيب من حاضر الذهن فأحسن قصصها ذاكراً العقائل
العفيفات اللاتي افتتن بجي ، والخرائد المصونات اللاتي
مرضن أو متن من جفائي إذ لم يكن في وسعي أن أكفهن

« مبدئياً أسنى على اللواتى قضين نخبهن من أجلى ،
فى تفصيل أمثال هذه الغرائب ، والعجائب حتى
الرجال الذين يستمعون منى تلك الأقوال أنى لم أفارق

المدرسة إلا لعام أو بعض عام تحلاً

نريسا : على هذا سنقضى حيناً فى مخالطة الرجال
برسيا : أف منك وبشس السؤال : لو كان هنا أجنبي لأساء
الظن بظاهرة نيتنا . هلمى بنا إلى الكنيسة لإتمام العقد ، ثم
أشرح لك مقصدى فى الطريق ، وإن أماننا لمسيرة عشرين
ميلاً . البدار ، البدار « تخرجان »

المشهد الخامس

المكان عينه — حديقة

« يدخل لنسلو وجسيكا »

لنسلو : نعم ، والحق ما أقول : ذلك أن خطايا الوالد تقع على
الولد ، ولهذا أخبرك عن يقين أنى أخاف عليك جداً
الظن . وقد جرت عادتي أن أصارحك بفكرى . كل فكرى ،
فأنت على علم لا ريب فيه أنك هالكة النفس ، وليس بياق

لك سوى رجاء غير جدير بالذكر ، رجاء لقيط

جسيكا : وأى رجاء هو؟ أتفصح عنه ولك التفضل ؟

لنسلو : هو : أن تأملى أنك لست من صلب أبيك ، أى أنك لست

ابنة اليهودى

جسيكا : عندئذ يكون رجائى لقيطاً كما ذكرت ، وإذن تعلق بى

تبعات خطايا والدنى

لنسلو : أنا - وما أحدثك ، إلا بالصدق - أخشى أن تكونى هالكة

من جهة الأب ومن جهة الأم معاً ، فإذا أردت لك النجاة

من ناحية الصخر : أبيك ، وقعت بك فى ناحية الهوة :

أمك . فأنت بتمام الراحة . . . هالكة من هنا ومن هناك

جسيكا : ولكن يخلصنى زوجى الذى جعلنى نصرانية

لنسلو : إنه بلخدير باللوم المضاعف على فعله هذا ! لقد كنا

نحن النصارى أكثر عدداً مما تقتضى الحال ، وكنا بحيث

لا يكاد الواحد منا يكتفى أنجاه . فهلذا التهافت على الاستكثار

من المسيحيين سيغلى أثمان الخنازير . وإذا أصبح الناس

جميعاً أكلة خنازير فلسوف يأتى وقت لا يتسنى لأحد فيه

أن يحصل على كربونات

« يدخل لورنزو »

جسيكا : لنسلو سأبوح لزوجي بكل ماقلت لي . ذكرته وها هو ذا
لورنزو : أتعرف يا لنسلو أنني قد قاربت أن أغار منك لفرط ما تتوالى
محدثاتك لامرأتى على انفراد

جسيكا : كن آمناً من هذا القبيل يا لورنزو ، إن لنسلو الخصيمي
اليوم ، فقد قال لي بلا مجاملة أن لا رحمة لي في السماء لأننى
ابنة يهودى ، ويزعم أيضاً أنك سيئ الوطنىة لأنك بتحويلك
يهوداً إلى نصارى تغلى ثمن الخنازير

لورنزو : سيكون أسهل على أن أبرأ من هذا اللدنب لدى مواطنى مما
يسهل عليك أن تبرأ من أحبالك جارية سوداء

لنسلو : يحتمل أن لا تكون البخارية السوداء على الحالة التى ينبغى
أن تكون عليها ، ولكنها إذا كانت قد نقصت شيئاً عما
يجب أن تكون المرأة العفيفة فقد زادت شيئاً على ما كان
عهدى بها

لورنزو : ما أيسر لعب الحمقى بالألفاظ ! أظن أنه لا يمضى
زمن حتى يصير السكوت هو العقل ، والكلام هو ما يليق
بالبيغاوات . اذهب أيها الهزأة وقل لحشمتنا أن يتأهبوا للعشاء
لنسلو : المائدة ستهياً والأطعمة ستوضع ، وأما أن تذهب لتناول الطعام
فهذه مسألة أدع لك حلها كما ترى

لورنزو : ما أعجب هذا الإدراك ، وما أعزب ! تصنيف هذه العبارات
بهذه البراعة ! هذا الأبله قد جمع في ذهنه جيشاً من النكات
وأعرف غير واحد من علية أهل المناصب محشونين مثل
هذا الحشو وينطقون شبالاً ويميناً بمثل هذه المهاترات :
دعينا من هذا يا جسيكا وقولى : كيف أنت يا حبيبتي ؟
وما رأيك في قرينة باسانيو ؟

جسيكا : فوق ما تصف الكلم . على السنيور باسانيو ذمة أن يسير
أحسن سير الرجال ، لأنه بمصولة حلى مثل هذه المرأة قد
وجد في الأرض نعيم السماء ، وإذا لم يعرف قدر سعادته في
الدنيا ، لم يجدر بأن يفوز بسعادة الأخرى ، وأيم الحق ،
إنه لو تراهن إلهان حلى خطر علوى ، وجعلا الرهان امرأتين
إحداهما برسيا لوجب أن يزداد في الخطر على الأخرى شيء
كثير ، ذلك بأنه ليس في الإمكان أن تلقى امرأة كبرسيا في
هذه الأكوان

لورنزو : هي في الزوجات ما أنا في الأزواج

جسيكا : هلا سألتنى رأيتى في هذا الشبه ؟

لورنزو : هذا ما سأفعله فيما بعد ، فلنبدأ بتناول العشاء

جسيكا : لا ، ودعنى أمتدحك حين النفس طالبة

: بل دعى هنا بغير أمر نجعله حديث المائدة . ومهما تقولى
عندئذ أمتضممه مع سواه
: حباً وكرامة ، وسأتولى الثناء عليك
« يخرجان »

الفصل الرابع

المشهد الأول

للبنديقية - دار عدل

« يدخل الدوج والأعيان وأنطونيو وباسانيو وغراتيانو وسالارينو وسلاينو وآخرون »

الدوج : هل أنطونيو هنا ؟

أنطونيو : ها أنذا رهين بأمر سموكم

الدوج : إني مكتئب لما نابك ، وإن خصمك رجل فاقد الإنسانية

عادم الرحمة شديد المراس ميت الإحساس

أنطونيو : نعى إلى أنكم بلدتم كل مجهود لاستعطافه . فما ازداد

إلا جفوة . ولا كان مستمراً في عناده ، وكان القانون

لا ينجيني ، ونهيات يجلد لما ترميني به نفسه الخبيثة من الرزايا

الدوج : ليدع اليهودي ويمثل لدى المحكمة

سالارينو : هو بالباب ياسيدي ، هو آت « يدخل شيلوخ »

الدوج : افسحوا له فتراه ويرانا مواجهة . شيلوخ ، يظن غير

واحد - وأنا من أصحاب هذا الظن - أنك مصر على ما توحيه إليك البغضاء حتى الدقيقة الأخيرة، فإذا حلت هذه الدقيقة راجعت حلمك ، ورجعت إلى وحى الشفقة بما لا يدل عليه هذا التظاهر منك بالقسوة المتناهية ، ويزيد أصحاب هذا الظن على ما قدمته أنك ستعدل عن النهج الذى نهجته إلى الآن من تقاضى بضعة اللحم من جسم هذا التاجر المنكود الطالع إلى ما هو أعرق فى الإنسانية ، وأبغ فى السماحة ، فترك له نصف المقدار الأصيل من الدين ناظراً بعين الرحمة إلى ما منى به حديثاً من الحسائر ، التى لو منى بها أعظم التجار ميسرة لأعسر ، وهو الخطب الذى تلين له النفوس المتصلبة كالنحاس ، وترق من جرائه القلوب المتحجرة كالرخام ، بل الرزء الذى يرى له جفافة الترك ، وييكى منه قساة التتار ، أعداء كل رفق وأضداد كل كياسة . إنا نرقب إجابتك أيها اليهودى ، وعسى أن تكون موافقة

شيلوخ : لقد كاشفت سموكم بمقاصدى ، وأقسمت بالسبت . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إلا ما تنجزت منطوق الصك بالحرف ، فإذا أبيتم على ذلك فلتقع تبعه هذا الإباء على أنظمة حكومتكم ، وامتيازات مدينتكم . تسألوننى علام أوثر بضعة من اللحم الخبيث على استثناء

ثلاثة آلاف دوق . فجوابي : أنه لو قدر كون هذا الطالب إحدى بدوات عقلي لكني ذلك في إيجابه ، فقد يكون في بيتي جرد ثقيل أطيب للتخلص منه عن ثلاثة آلاف دوق . أفتبغون مني أسباباً أخر ١٩ . . . من الناس من لا يطبق رؤية حينئذٍ واسع الشدقين ، ومنهم من يرتعد لرؤية سنور ، ومنهم من إذا سمع غنة المزمار لم يستطع حقن بوله ، ذلك لأن شعورنا هو ذو السلطان المطلق على موداتنا وعلى موجداتنا ، وفي يده أزمّة ما نحب ، وما لا نحب ، فإن أردتم بعد هذا جوابي فالإيكم جوابي : كما أن الإنسان لا يستطيع بياناً لما بغض إليه الخنوص المتثائب وأخافه من السنور الذي لا يؤذى ، ونقره من صوت المزمار ، ودفعه بقوة خفية لامرء لها إلى التكره من رؤية مالا يسره ، ولو عرضه ذلك ليكون بغيضاً على الآخرين ، كذلك أنا . وحسبي داعياً للتشدد في مقاضاة أنطونيو وإيثار احتزاز لحمه ، على استعدادي نقودي منه ، فأصل الحقد عليه في دمي ، وتمكن الضغن له من فؤادي . أيرضيكم هذا ؟

باسانيو : يا للرجل الذي ليست له أحشاء ! ما هذا بالعذر الذي يعتذر به عن مثل هذه الخطة

شيدوخ : ليس من الضروري أن يعجبك اعتذاري

باسانيو : أكل إنسان يقتل من لا يجب ؟
 شيلوخ : يوجد إنسان لا يجب قتل من يبغض ؟
 باسانيو : ما كل إهانة تتولد منها البغضاء حتماً ؟
 شيلوخ : أتريد أن ينكرك الشعبان مرتين ؟
 أنطونيو : تذكر - رعاك الله - أنك إنما تحاور اليهودي ، وأنه أيسر لك من إقناعه أن تقف على الشاطئ وتأمر البحر بالجزر في غير أوانه فيزدجر ، أو أن تسأل اللئيب لماذا يستبكي النعجة التي افترس صغيرها وتركها تشغور وراعه ، أو أن تحظر على صنوبر الجبل تحريك أغصانه الوريقة الشائبة ، أو الجهر بحفيف أعواده حين تصدمه الرياح ، أو أن تعمل أشقّ ما يرام عمله ، من أن تتوصل إلى تليين أفسى شيء في الدنيا وهو قلب اليهودي - فقدك توسلا ، وحسبك جهداً ، وليصدر على الحكم وشيكاً ، ولتكمل مشيئة اليهودي

باسانيو : هذه ستة آلاف درق بدلاً من ثلاثة الآلاف
 شيلوخ : لو قسم كل من هذه الدوقيات إلى ستة أقسام وصار كل قسم دوقياً لما رضيت بها عوضاً ولا ابتغيت إلا إنفاذ الشرط
 اللوج : أية رحمة يجوز لك أن ترجوها وأنت لا ترحم ؟
 شيلوخ : ماذا أخشى وأنا لم أصنع شراً ؟ للأكثرين منكم أرقاء

شريتموهم بالأموال ، وتستخدمونهم استخدامكم لحميركم ،
وكلابكم ، وبغالكم في أعمال حقيرة ، سافلة ، بعدر أنهم
كما ملكت أيمانكم بالشراء . فلو قلت لكم : أعتقوهم وزوجوهم
من بنيكم أو بناتكم ، علام هم موقرون بالأحمال ؟ لتكن
أفرشتهم وثيرة كأفرشتكم ، ولتكن أطعمتهم شهية كأطعمتكم -
لأجبتوني : هؤلاء الأرقاء ، هم ملكنا . وهذا عين ما أجيبكم
به ، فإن بضعة اللحم التي أطلبها من هذا الرجل ، قد
ابتعتها بثمان غال ، وهي لي ، ولإياها أقتضى ، فإن
أبيتموها على لم تجدر قوانيكم بعد ذلك إلا بالازدراء ،
ولم ترج طاعة بعد لأوامر البندقية ونواهيها . إني لأرغب
حكمكم ، وتكلموا ، أظفر بذلك الحكم ؟

الدوج : سأمر - وعلى العهدة - بإرجاء الدعوى ، إلا إذا وفد اليوم
العلامة بلالريو الذي بعثنا في طلبه لنسمع منه الرأي الفصل
في هذه المعضلة

سالارينو: مولاي ، بالباب رسول من بادوا يحمل الوكا من ذلك الأستاذ
الدوج : أدخلوا الرسول ، وجيثوني بالرسالة

باسانيو : مجلد يا أنطونيو يا صديقي الحميم ، ليأخذن اليهودى دى
وعظاي وكل شيء منى قبل أن تراق قطرة من دمك لأجلى
تاجر البندقية

نعجة جرباء ، ولا بد من موتى لنعجة السرح .
إلى السقوط ضعافها فلاسقط . وأنت فاسلم
بالبقاء . لا أسألك إلا أن تكتب كلمة ترحم على

هبرى

« تدخل نريسا في نى كاتب محام »

: أقادم من بادوا . من قبل الأستاذ بللاريو ؟

يسا : نعم ياسيدى ، وهويقرئ سموكم السلام

ياسانيو : « مخاطباً شيلوخ الذى يشهد سكينه حل أديم حدائه » — لماذا تشهد

مديتك بهذا النشاط ؟

شيلوخ : لانتزاع ليرة من لحم هذا المفلس

غراتيانو : إنما تشهدنا على الحجر الذى بين جنبيك ، لا على أديم

نعلك ، أيها اليهودى الغليظ الكبد ، وأى حديد لو كان

سيف الجلاذ يعادل منك هذا الثقل والبضاء فى الحقن

والبغضاء . ألا تستمع لضراعة ؟

شيلوخ : لا أستمع ، وخصوصاً لضراعة من مثل ما يوحيه إليك فكرك

الثاقب

غراتيانو : ويك ا اذهب لعيناً أيها الكلب الجهنمى العقورا ولنكن

حياتك شكاية من العدل . تكاد تززع إيماني ، وتدخل

على عقيدتي قول فيثاغور إن نفوس البهائم تنتقل إلى جسم
الناس فإن روحك ، ولا ريب ، كانت في ذئب
أماتوه شفقاً لافتراسه إنساناً ، فانطلقت تلك الحبيثة هائمة
حتى انتهت إليك وأنت في بطن أمك السعلاة . ذلك لأن بك
ما بالذئب من النهمة إلى اللحم ، والظمأة إلى الدم

شيلوخ : مادام قزعك وسبابك لا يمحوا التوقيع عن الصك فأنت تتعب
رئيتك في باطل . أيها الفتي أصلح ما اعتور عقلك من
التلف ، لتلا تقع في خبال عقام . هنا القانون حليني
الدوج : إن بللاريوني ألوكه هذا يوصي المحكمة بأستاذ مقبل الشباب
عليم . أين هو ؟

نريسا : ينتظر على مقربة لذن سموكم بالدخول

الدوج : آذنه بارتياح . ليبادر ثلاثة أو أربعة منكم إلى ملاقاته ،
وليصحبوه في الحجى بصنوف الحفاوة ، ولتقرأ في هذه المهلة
ألوكة بلاريو .

المحضر : « قارئاً » « أرفع إلى علم سموكم أنني كنت معتلاً حين
تناولت الكتاب الكريم ، إلا أنه اتفق ساعة قدوم رسولكم
أن عادني صديق في ريعان الشباب متضلعاً من الحقوق ،
سنيّ المتزلة بين علماء رومة يدعى بلتزار ، فطرحت عليه

مسألة اليهودى ، والتاجر أنطونيو ، وبعد أن راجعنا الكتب ملياً أقررت رأياً سيطلعكم عليه معزراً بما يضيفه إليه من فيض علمه الواسع ، وإدراكه السامى ، وقد أجابنى بعد إلحاحى عليه ، إلى النيابة عنى فى المثول لديكم ، فألتمس ألا يحول العدد المنقوص من سنة دون ما هو حقيق به من التجلة لعلو كعبه فى القانون ، وما أذكر أنى شهدت رأساً أشيخ من رأسه على جسمه ، فهو موكول إلى حفاظتكم ، وفضل رعايتكم ، وفى يقينى أن أعماله ستكون أبلغ فى التوصية به من أقوالى «

الدوج : سمعتم ما ذكره العلامة بللاريو ، وهذا نائبه الفاضل إن صدق تخمينى

« تدخل برسيا فى زى عالم حقوق »

الدوج : « مستراً » : هات يدك . أقدم أنت من قبل الشيخ بللاريو ؟

برسيا : نعم يا مولاي

الدوج : على الرّحب والسعة . اجلس . أتدرى المسألة التى تهتم بها المحكمة الآن ؟

برسيا : أعرف المسألة بتفصيلها . من فى هؤلاء التاجر ؟ ومن

فيهم اليهودى ؟

الدوج : أنطونيو وشيلوخ ، تقدا كلاكما

برسيا : أنسى شيوخ ؟

شيلوخ : اسى شيوخ

برسيا : دعواك خرية فى بابها ، ولكنها مسوقة سياقاً لا يملك معه

قانون البندقية توفيف سيرها « غاطبة أنطونيو » أو أنت الذى

أمرك الآن منوط بأمره ؟

أنطونيو : هذا ما يزعمه

برسيا : أتعرف بالصك ؟

أنطونيو : أعترف به

برسيا : على اليهودى إذن أن يكون رحيماً

شيلوخ : من الذى يضطرنى إلى الرحمة ؟

برسيا : جمال الرحمة أن تكون خياراً لا اضطراراً . فهى كماء السماء

ينهمل بالخير ، ويهطل باليمن عفواً من وهب ، وبركة لمن

كسب . فإذا كانت الرحمة عفواً صادراً عن مقدرة ، فهنالك

بهاء قدرتها ، وازدهاء جلالها . أما تراها إذا تحلى بها الملك

القائم كانت لهامته أزين من التاج ، وفى يده أقوى من

صوبلخان الأمر والنهى ، وكان عرشها المنصوص فى قلبه أعظم

تمكيناً له من عرشه الذى يستوى عليه لأنها من صفات الله

تاجر البندقية

عز وجل ، ولا يكون السلطان الدنيوي أقربَ شَبْهاً إلى السلطان العلوي منه إذ يُلطفُ العدل بالرحمة ، فإيا أيها اليهودي ، مهما يكن من استنادك في دعواك إلى العدل ، فلا تنس أن الله لو عامل كلاً منا بمحض العدل لما بات إنسان على أدنى رجاء بالمغفرة والنجاة . لهذا نستغفر الله كل يوم في أدعيتنا . وكما نستمححه العفو يجب علينا أن نكون من العافون عن الناس . وإنما خاطبتك هذا الخطاب لأنبهك إلى ما في طلبك من التعالى ، بل الإغراق في التفاضل ؛ فإن لبثت على إصرارك مع هذا فلا يسع الحكمة إلا الامتثال لما يوجبه القانون من عقوبة هذا التاجر

شيلوخ : لتقع تبعة أعمالى على رأسى . أتشبت بالقانون ، وألح في إنفاذ شرطى

برسيا : أليس في طاقته أن يوفى الدين ١٢ ؟

باسانيو : بلى في طاقته ، وأنا مستعد لأدائه في هذه الحضرة ، بل لأداء مثليه ، فإن لم يكتب تعهدت بعشرة أمثال المطلوب تعهداً أفادى عليه بساعدى ، ورأسى ، وقلبي . فإن لم يكتب تبين إذن أن العوج يدُول من الاستقامة ، أو أن الرذيلة ترهق الفضيلة ، فإليكم أضرع بلإلحاف أن تلتفتوا بسلطانكم قدرته على الإساءة ، متوسلين بأذنى الضير ،

للوصول إلى أسنى الخير ، كاجبين بتأييد من الله الرحيم جماع
هذا الشيطان الرجيم

برسيا : هذا ما لا ينبغي كونه . وما من قوة في البندقية تستطيع تشذيب
القانون النافذ . فلو فعل ذلك لأعقبه ما لا يحصى من ضروب
التجاوز قياساً على هذا التجاوز الأول

شياوخ : ليس قاضينا إلا دانيال ذلك النبي الكريم . أجل هو دانيال .
ألا أيها القاضي الملىء بالحكمة على نصارة عودك ، ما أجل
قدرك في نفسي ا

برسيا : أستمح الاطلاع على الصك

شيلوخ : ها هو ذا أيها العلامة الموقر ، ها هو هذا

برسيا : شيلوخ قد عرض عليك ثلاثة أمثال المقدار .

شيلوخ : سبق اليمين . سبق اليمين . حلفت بالله ، أفأحنت ؟
لاولو أعطيت البندقية كلها

برسيا : انقضى أجل هذا الصك ، وبموجب الخط الذي فيه حقت

لليهودى قانوناً لبرة من لحم التاجر تبضع مما حول القلب . لبرها .

كن رحيماً . تقبل ثلاثة أمثال نقودك وأجزلى أن أمزق هذا الصك

شيلوخ : ليمزق بعد إجراء مقتضاه . بين أنك قاض جليل ، علم

بالقانون ، فقد شرحت الموضوع شرحاً هو الصحة بعينها ،

فباسم القانون الذى أنت من عماده الراسخات أكلفك

إيقاع الحكم ، وأقسم بنفسى إنه ليس فى قدرة فصيح
من البشر أن يحوى عن قصدى ، فلا مناص من إنفاذ
حكى

أنطونيو : ألتمس من الحكمة بإلخاف إيقاع حكمها

برسيا : الحكم يوجب تعريض صدرك لمديته

شيلوخ : يا للقاضى النبيل ! يا للفتى اللبيب !

برسيا : ذلك لأن القانون موافق بجلاء وثبوت على الحقوق التى نحوته
إياها نص الصك

شيلوخ : قول لاريب فيه . أيها القاضى الحكيم العادل . ما أكبر
سك عقلاً وما أقلها أعواماً

برسيا : اكشف له صدرك

شيلوخ : نعم صدره . هكذا كتب فى الصك . أليس كما أقول أيها
القاضى الشريف ؟ بجوار القلب ؟ هكذا ذكر بالحرف

برسيا : لا معارضة . أوجد هنا ميزان لوزن اللحم

شيلوخ : الميزان معى

برسيا : يجب أيضاً أن يكون هنا جراح على نفقتك يا شيلوخ مخافة
أن يموت الخصم من شدة انتزاف دمه

شيلوخ : أهذا وارد فى الصك ؟

برسيا : لم يرد فى الصك ، ولكنه عمل إنسانى يحسن بك أن تعمله

شيلوخ : لا أرى ما ترى ، وما لذلك ذكر في الصك

برسيا : إذن أيها التاجر . ألك أقوال ؟

أنطونيو : شيء غير كثير ، أنا متأهب وصابر . هات يلك يا باسانيو

وتلق وداعى . لا يحزنك أن صرت هذا المصير من أجلك

فإن المقادير قد رقت بي رفقا ليس من مألوفها في مثل

مصاى . فمن مألوفها أن تبقى من فقد جاهه حيا ، غائر

العينين مثل الجبين بالفضون ، يتوقع شيخوخة البؤس والفاقة

أما أنا فإنها أنقذتني من هذا العذاب الطويل ، وغاية

ما أرجو أن تذكرنى بخير لدى عروسك المشرفة ، وتخبرها

كيف كانت نهاية أنطونيو ، ونصف مبلغ حى لك وتبثها

بثك ، بما ألم بك حين شهدت ميتى ، فإذا فرغت من ذلك

أن تسألها : ألم يكن لى صديق ؟ ثم ألا تعاتب نفسك على

وفاة ذلك الصديق ، فإنه هو غير آسف على إبرائك من

دينك ، مع علمه أن مدينة اليهودى لو انحرقت ، أو تبادت

قليلاً لذهبت بالقلب كله فداء لك

باسانيو : أى أنطونيو ، لقد شركت في حياتى امرأة أهواها كهواى

للحياة ، غير أننى أكاشفك أنه لا الحياة ولا امرأتى ،

ولا الدنيا كافة بالشىء الذى يعادل عندى بقاءك ، فإنى

لأرضى بفقد أولئك جميعاً ، وتقديم أولئك جميعاً قرباناً

لهذا الشيطان فى سبيل نجاتك

برسيا : لو سمعتك زوجك لما أعجبها هذا العرض الذي تعرض
غراتيانو : لى عروس أحبها كل الحب ، وتالله لو علمت أنم
إلى السماء وبشفاعتها يلين قلب هذا اليهودى

لسخوت بها

برسيا : الحمد لله أن سماحك هذا إنما ذكر في غيابها ، ولو
عشما في رفاء

شيلوخ : « مفرداً » كذا حال الأزواج من النصارى .
وددت لو بنى يهودى حتى من نسل باراباس .
كائناً من كان « جهراً » نحن نضيع الوقت تفضاً
بالحكم .

برسيا : حق لك رطل من لحم هذا التاجر ، فخذ ما ثبت لله
القانون وبأمر المحكمة

شيلوخ : يا لك من قاض عادل !

برسيا : ثم لك أن تقتطع الرطل من صدره بموجب القا
المحكمة

شيلوخ : يا للقاضى ! العالم ! كذا الأحكام : تأهب

برسيا : رويدك . لم نستوف الحكم . الصك لا يميز لك
قطرة من الدم ، بل نصه بالحرف « من اللحم » ،
ما هو لك . نخذ رطل اللحم ، ولكن إذا سفا

اقتطاعها نقطة واحدة من دم مسيحي قضى عليك قانون
البنديقية باستصفاء أملاكك وأملاكها إلى الحكومة

غراتيانو: يا للقاضي المنصف ! ما قول اليهودي ؟ يا للقاضي العلامة !

شيلوخ : أهذا ما يقوله القانون ؟

برسيا : سنطلعك على النص ، لأنك طالب عدل ، فان نرجع

في الحكم إلا إلى العدل ، أدق ما يكون العدل

غراتيانو: يا للقاضي العليم ! ما قول اليهودي ؟ يا للقاضي التفضيل !

شيلوخ : أما والحالة هذه فأنا أقبل ما عرض على . ليدفع إلى ثلاثة

أمثال القدر ، ويطلق سراح النصراني

باسانيو : ها التقود

برسيا : مهلاً ، سينصف اليهودي كل الإنصاف . مهلاً لا تتعجل .

سيعطى حقه

غراتيانو: يا يهودي أملئ أن يكون هذا القاضي عادلاً وعالماً كقولك

برسيا : تأهب إذا لانتزاع البضعة بلا إراقة دم ، واحرص أن تقتطع

الرطل لازيادة ولا نقصاناً . فإذا وجد فرق ، ولم يكن إلا

عشر معشار الدرّة ، أو لم يكن إلا مثقال شعرة في رجحان

كفة من الميزان على الأخرى ، قتلت وصودرت أموالك

غراتيانو: هذا دانيال ثان . هذا دانيال يايهودي . الآن قد أمسكت

بتلابيبك

برسيا : ماذا تنتظر أيها اليهودي ؟ خذ حقلك

شيلوخ : أعيديوا إليّ أصل قرضي وأنصرف

باسانيو : هو معد لك ، ها هو ذا

برسيا : أباه على المحكمة ، فلا بد من أخذه الحق الذي تقاضاه دون

سواه ، كنص القانون بالتلقيق

غراتيانو : دانيال بعينه . دانيال ثان . أشكر لك تعليمي هذه اللفظة

شيلوخ : ألا يريد عليّ أصل مطلوبي ؟

برسيا : لن تأخذ يا يهودي إلا ما هو لك ، فتناوله وعليك تبعاته

شيلوخ : إن كان الأمر كذلك فليحفظ به ولينصرف غني إلى

جهنم . لن أطيل الإرغاء في هذا المعنى

برسيا : على رسلك أيها اليهودي ، لم ينته الحكم بعد ، وإن في

القانون لبقية تعنيك . فقد جاء فيه أنه إذا ثبت على أجنبي

توسله بوسائل مباشرة ، أو مداورة للقضاء على حياة واحد

من الأهلين ، حق للمشروع في الجناية عليه نصف

ما يملكه الشارع في الجريمة ، وللحكومة النصف الآخر ،

وجعلت حياة المأخوذ بالذنب رهن إشارة اللوج بانفراده ،

فأنا أجهر بأنك تحت طائلة هذا النص ، لأنه ظهر جلياً

أنك بوسائل منحرفة ومباشرة ، تأمرت على حياة الملحق

عليه ، وأوجبت على نفسك ذلك العقاب . فأجثُ والتمس
رحمة الدوج

غراتيانو : أستاذن بأن تنصرف فتقضى على نفسك شتقاً . ولما كانت
أموالك قد آلت إلى الحكومة ، ولم يبق لديك ثمن الحبل
تشرية فسماتك سيكون على نفقة الجمهورية

الدوج : إني أمنحك الحياة قبل أن تلتسها مني ، لتعلم الفرق
بيننا وبينك ، وإذا أبديت ندماً على ما فات منك لطفتم
من القصاص الذي يجعل نصف أموالك لأنطونيو والنصف
الآخر للحكومة ، فحولت الشرط الثاني منه إلى غرامة فحسب

برسيا : فيما يرتبط بالنصف الذي يرجع إلى الحكومة ، دون النصف
الذي يرجع إلى أنطونيو .

شيلوخ : خذوا حياتي إلحاقاً لها بالباقي ، فإنكم إذا أزلتم ركن البيت
ذهبتم بالبيت . أفأعيش وأنتم لا تدعون لي ما أعيش به ؟

برسيا : بماذا تجود رأفتك عليه يا أنطونيو ؟

غراتيانو : بحبل لا أكثر وأيم السماء

أنطونيو : أضرع إلى مولاي الدوج ، وإلى المحكمة ، أن يترك له نصف
أمواله ، وحسبي ربع النصف الآخر ، على عهد مني بتسليم

ذلك النصف ، حين وفاة اليهودى إلى الرجل الذى تزوج
ابنته ، ولى على تحقيق هذا العهد شرط ، هو أن يوقع الآن
بحضرة المحكمة ، على صك يخرج به عن كل مال فى
حوزته يوم وفاته لصهره لورنزو وكريمته

الدوج : ليفعل أو أسترد عفوى

برسيا : أتقبل أيها اليهودى ؟ بم تجيب ؟

شيلوخ : أقبل

برسيا : أيها المحضر ، حرر صك الهبة من فورك

شيلوخ : تكرموا وأذنونى بالانصراف ، فقد انهض عزمى ، ومتى جاعنى
الصك أمضيته

الدوج : لك أن تنصرف ، ولكن إياك ألا توقع

غراتيانو : سيكون لك عربان حين تنصيرك ، لكننى لو كنت أنا
قاضيك لكان لك بدلها عشرة نفر يحملونك إلى المشنقة
« يخرج شيلوخ »

الدوج : « مخاطباً برسيا » : أرجو يا سنيور أن تجيب دعوتى إلى العشاء
الليلة

برسيا : ألتمس خاشعاً من سموكم إعفائى ، فإننى عائد إلى بادوا
من ساعتى

الدوج : أنا آسف لهذا الإسراع . اشكر يا أنطونيو لهذا العلامة
صنيعته إليك ، فإنها لكبيرة فيما أظن
« يخرج الدوج والشيوخ بعد مطالعة عقد الهبة صامتين »

باسانيو : أيها السيد المبجل ، إني وصاحبي لصنيعتك منذ اليوم ، بما
أقررت به أعيننا من آيات حكمتك ، وربما أنقذتنا من فادح
الخطب ، فنبتهل إليك أن تتقبل ثلاثة آلاف الدوق التي كانت
لليهودى ، لا أجراً وفاقاً ، بل بعض الجزاء لما مننت به
علينا من حسن مساعدتك

أنطونيو : هذا مع بقائنا مدينين لك مدى العمر ، بما هو فرق المال ،
ومع إيجابنا على نفسنا كلّ خدمتنا وكلّ وفاء لك إلى آخر
أيامنا

برسيا : كفى بالمبرّة مرضاة للبارّ ، إني لمسرور لكوفى أنقذتكما فأعتدّ
هذا جزاءً وافيّاً ، ولم أكن قط ممن يقيمون للدينار وزناً ،
ونهاية ما أرغب فيه إليكما هو أن تعرفاني حين نلتقى بعد الآن ،
وأسأل الله لكما النعمة والهناء ، مستأذناً بالانصراف

باسانيو : اغفر لى يا سنيور إلخاى عليك بأن تقبل هدية منا ،
على سبيل الذكرى لجميلك ، لا على سبيل المكافأة ،

وأشدد في التماس أمرين منك : قبول الهدية ، والصفح عن

إلحاحي

برسيا : أراك تلج بلحاجة لا تبقى لي مندوحة من القبول « مخاطبة

انطونيو » أعطني قفازيك سألبسهما تذكراً لك « مخاطبة
باسانيو » وأنت أقبل منك هذا الخاتم علامة على مودتك .

لا تردد يدك . لن آخذ منها أكثر من هذا ، وإخالك مجيبي

إلى ما طلبت

باسانيو : هذا الخاتم يا مولاي - واشقوتنا ! - أستحي أن أسديك شيئاً

بهذه القيمة الدنيئة

برسيا : بل هو الشيء الفرد الذي أقبله ، والآن قد ازددت رغبة

فيه

باسانيو : لهذا الخاتم ثمن معنوي عندي لا مناسبة بينه وبين ثمنه المالى ،

فدعه لي على أن أبتاع لك أعلى خاتم في البندقية ، خاتم أرسل

في التماسه الدلائل والمنادين منبئين في كل جهة . أيكفى ذلك

لتعذرني عن السماح بهذا الخاتم

برسيا : أجد ياسنيور أنك لا تجود إلا بالوعود ، وقد علمتني كيف

أقترح ، ثم تعلمني الآن كيف أمنع ما يثقل على الطبع

من العطاء

باسانيو : إني يا سيدي متشبت بهذا الخاتم ، لأن امرأتى قد وهبتني

إياه ، واستحلفتني حين وضعته في أصبعي ألا أبيعهُ ، ولا
أسمح به ، ولا أفقده

برسيا : هذا اعتذار يعتذر به غير واحد من الرجال عن إهداء
ما يطلب منهم ، إلا أنني أعتقد أن امرأتك إذا علمت بما
فعلته لا ستحقاق هذه الهبة لم يفضبها تخليك عن الخاتم ، في
الحد الذي تتصوره ، إلا إذا كان بها مس من الجنون .
لا بأس . السلام عليكم « تم بالانصراف »

أنطونيو : « مخاطباً باسانيو » أعطه هذا الخاتم يا سنيور باسانيو ،
ألا تضع خدمته في وصدأقتي لك في كفة من الميزان ،
تقابل الكفة التي فيها نهى عروسك ؟ ! عجل وأهده إليه
باسانيو : إليك يا مولاي المبجل هذا الشيء الذي رغبت فيه ،
قد طابت نفسي عنه لك ، وأنت المتفضل الحميد ،
حيالك الله يا مولاي

أنطونيو : حيالك الله أيها السيد الأمثل ، ليتك تسمح بزيارتي
الآن مع السنيور باسانيو فتزيدني إحساناً
أعتذر إليك على أسف مني ، لأنني مضطر إلى السفر
عاجلاً

« يخرج باسانيو وأنطونيو ويدخل خادم فيلغ ورقة إلى نريسا »

- فريسا : هذا صك اليهودى قد جرى به الآن
- برسيا : لنذهب إلى اليهودى فيوقع عليه حالا ، ثم نبحر من فورنا
لنسبق زوجينا إلى القصر
- « يخرجان »

الفصل الخامس

المشهد الأول

بلمنت — شارع أمام قصر برسيا

« يدخل لورنزو وجيكا »

لورنزو : القمر يضيء إضاءة ساطعة . في مثل هذه الليلة كان
النسيم الخفيف يداعب الأوراق مداعبة لا يسمع لها
حفيف ، وكان ترويل على أسوار طروادة ، يتنفس
الصعداء متلفتاً نحو نخيام الإغريق ، ذاكراً حبيته
كريسيده

جيكا : في هذه الليلة كانت تسبا تطأ الندى ، فرجع لها طيف
أسد قبل أن ترى الأسد ففرت مروعة

لورنزو : في مثل هذه الليلة كانت ديدون ، ويدها غصن صفصاف
واقفة على شاطئ البحر تنادى عشيقها وتشير إليه أن يعود
إلى قرطاجنة

جيكا : في مثل هذه الليلة ذهبت ميده تقطف الأنبثة السحرية التي

بها تجدد شباب إيسون

لورنزو : في مثل هذه الليلة فرّت جسيكا من بيت اليهودى الغنى
لاحقةً بعاشقها المخاطر من البندقية إلى بلمنت

جسيكا : وفي هذه الليلة حلف لها بحبها اليافع لورنزو أن يهواها إلى آخر
نسمة من حياته ، وقطع لها على الثبات عهداً ، لن يكون
صادقاً في أحدها

لورنزو : وفي مثل هذه الليلة وشت المعشوقة الماكرة جسيكا بحبها فغفر
لها ما فرط من ذنبها

جسيكا : لولا سماعى خطي قادم لأطلت هذه المحاورة

« يدخل ستفانو »

لورنزو : من السارى بهذه السرعة ؟

ستفانو : صديق

لورنزو : أى صديق ؟ ما اسمك بحق الوداد أيها الصديق ؟

ستفانو : اسمى استفانو . وقد جئت لأبشركم بأن مولاتى لا تلبث أن

تصل إلى بلمنت وهى هائمة على وجهها ، كلما صادفت

أحد الصليبان المقدسة فى طريقها جثت وصرعت إلى الله

بأن يبارك فى قرانها

لورنزو : من يصحبها ؟

ستفانو : لا أحد سوى وصيفتها وناسك . أخبرني متفضلاً : أعاد
مولاي ؟

ورنزو : لم يرد نبأ عنه إلى الآن . لنعد يا جسيكا إلى البيت ونهين
لربة القصر لقاء لائقاً بها « يدخل نسلو »

نسلو : هيا . هيا . هيا . هو . هيا

ورنزو : من ينادى ؟

نسلو : هيا . أرايت المسيو لورنزو ؟ أرايت السيدة قرينة لورنزو ؟
هيا . هو

لورنزو : كفى صخباً ها هما

نسلو : هيا ، أين ، أين هما ؟

لورنزو : هنا

نسلو : قل لهما إنه جاء بريد من قبل سيدى مملوء الجيوب
أخباراً سارة ، وسيكون سيدى فى هذا المكان قبيل الفجر
« يبتعد »

لورنزو : هلمى ندخل يا روحى العزيزة . وننتظر عودهما . ولكن لا

علامّ اللخول . قد أبلغ الصديق ستفانو أهل القصر أن

مولاتك على وشك القسوم ، وقد جاء بالموسيقيين إلى هذا

الخلاء ليكونوا فى الهواء الطلق « يبتعد ستفانو »

لورنزو : « تنبأ » ما أرق ضوء القمر فى انبساطه هادئاً على ،

وجه هذه المرجة الخضراء . لنجلس ونشرف آذاننا بأنغام
الموسيقى ، فإن الظلام والسكوت أفضل مواقع الألحان .
اجلسي يا حبيبتي جسيكا وسرحي الطرف في هذا الفضاء
العلوي الممدد تمديد المستوى الخشبي الصقيل ، وقد رصع بما
لا يحصى من الصُّحيفات الذهبية اللامعة . ما من جرم في
هذه الأجرام التي ترينها إلا هو ضامٌ نغمته السباوية إلى
خورس الملائكة ذات العيون الملائى صبي ، ومثل هذا الشجي
الشائق يتردد في النفس الخالدة ، ولكن الكساء الضافي علينا
من نسج الفساد وحمأة الصلصال يحول دون سماعنا ذلك
الإيقاع

« يدخل الموسيقون »

لورنزو : تعالوا ، ولتستيقظ ديانا على أصواتكم . أطربوا بمحاسن
ألحانكم مسامع سيدتكم ، وليجتلبها الشوق نحو مستقرها
جسيكا : لا أستطيع أن أكون فرحة عندما أسمع موسيقى شجية
لورنزو : ذلك لأن قواك تكون صاغية . انظري إلى مقنبة من المهار
الوحشية الوثابة ، ولما تبلُّ ما بالشكيم والتحكيم من حكم وألم ،
تجديها مندفعة بحرارة دمها الغالي اندفاع ما لا راد له ، تفرع
الهواء برنات صهيلها . فإذا حملت الريح إليها بغتة عزفاً
موسيقياً وقفت جماعةً من فورها ، وغلب فعل النغم الذي

سكنت إليه على تلك العزيمة الهمجية التي كانت تنقد في
عينها ، ولهذا ادعى الشعراء ، وما أخطأوا ، أن أورفه كان
يجذب إليه الأشجار والصخور واللجج ، إذ ما من مخلوق
بلغ ما بلغ من البلادة وجمود الحس والهمجية إلا وللموسيقى
تأثير في طبيعته . الرجل الذي لا يشعر بالموسيقى ولا يهزه
الطرب إنما هو مفطور على الغدر والاحتياك والاعتقال .
حركات نفسه قطوب كقطوب الظلام ، وأهواؤه سود كأهواء
الريب . وقصارى القول إنه رجل يجدر شره ويتقى أمره .
لتسمع للموسيقى

« تظهر برسيا ونريسا من جانب آخر »

برسيا : هذا النور الساطع منبعث من كوة المزاراة الكبرى في
قصرى ، ما أبعد مداه بالإضاءة ، وما أشبهه بالعمل الطيب
في هذا العالم الخبيث

نريسا : لم ننظره قبل أن يغشى السحاب القمر

برسيا : وهكذا المجد الصغير يستغرقه المجد الكبير . يظل رسول الملك
متألق المظهر ، حتى يجيء مولاه ، فيتوارى الرسول في جلال
الملك ، كما يتلاشى الجدول الضعيف في البحر الواسع .
أسمع أنغام موسيقى . لنصنع إليها

- نريسا : هذه موسيقى القصر
- برسيا : قيمة الأشياء أبداً نسبية ، ويخيل إلى أن [هذه الألحان
أشجى الآن منها في النهار
- نريسا : السكوت يا سيدتى يعيرها هذا الطرب
- برسيا : إنما الغراب والقنبراء واحد في أذن من لا يتصت إليهما ،
وعندى أن البلبل لو غرّد نهاراً بين صداح الإوز ، لما أنزل
من الطرب إلا في منزلة البويانة . وكم من الأشياء لا يتأتى
سواء قدرها ، ولا يتسنى لها تمام بهجتها ، إلا من ملاءمة آتيا
أو أينها ، صه ، قد رَقّ النغم لثلا يستيقظ العاشقان النائمان
على وساد واحد ، ينقطع صوت الموسيقى ،
- لورنزو : « قادمًا وغاملاً أحداً وراءه » هذا صوت برسيا ، أو شدّ
ما أنا مخطئ .
- برسيا : عرفنى كما يعرف الأعمى رنة الواقته ، لسوء ما تشبه
نغماتها بنغمة الطائر
- لورنزو : على الرحب نزولك في دارك يا مولاتى
- برسيا : ضرعنا إلى الله استدراراً للخير على زوجينا ، وأملنا أن يكون
دعاؤنا قد استجيب . أرجعنا ؟
- لورنزو : تقدم بشير بقرب ورودهما
- برسيا : ادخلى القصر يا نريسا ، وأوصى خدى بالألا ييوحوا

بغيتنا . وأنت يا لورنزو ، حذار أن تفشي السر ،
وأنت يا جسيكا « يسع مزف »

لورنزو : هذا معزف قرينك ، فهو قاب قوسين منا . نحن حفظة
للعهد ، فلا تخشى أن نكاشف أحداً بما في الضمير
برسيا : يكاد الليل ، وهذا إقاماره ، يشبه بالنهار ، غشيت
السحب شمسه فبدا في حلة من البهار

« يدخل باسانيو وأنطونيو وفراتيانو وأتباعهم »

باسانيو : لو حلّ الليل بطلعتك لكانت الشمس معنا في هذا
المكان وفي مقاطره من الأرض

برسيا : يضيء نوري من غير أن يزدهر ، فإن المرأة البعيدة
الإشراق لا يكون زوجها إلا محققاً غضوباً ، وبودي
ألا تكون ذلك أبداً . إنما يفعل الله ما يشاء . أهلاً
بك يا مولاي في أهلك وسهلاً في سهلك

باسانيو : حياك الله ، وشكر لك عنى يا سيدتى تفضلى ورحبى
بصديقى ، هذا أنطونيو هذا هو الرجل الذى أنا مدين له
بكثير

أنطونيو : غير أننى قد كوفئت أحسن مكافأة عن كل ما كان
« يحدث حوار بين فراتيانو وبرسيا »

برسيا : مرحباً بك في هذا الصرح يا سنيور ، سنحاول إثبات وفائنا لك بغير الألفاظ ، فدعنا من الهجامة الشفوية غير المفيدة
غراتيانو : « غاملاً نريسا ، وإيم هذا القمر المنير ، لأنك مخطئة بشكواك مني . قسماً بقولي — وإنه لصادق — لم أهد الخاتم إلا إلى كاتب المحامي ، ليت ذلك الكاتب لم يكن ولا السبب الذي أثر فيك هذا التأثير كله

برسيا : ويكما أبدأتما الشجار ؟ علام تختلفان ؟
غراتيانو : على خاتم ذهب لا قيمة له ، أعطيتني إياه ، وعليه ، كلمات منقوشة مما يحفر مثله صناع المدى ، وتلك الكلمات هي بلفظها : « أحببني ولا تتركني »

نريسا : ما دخل القيمة أو النقش ؟ عندما وهبتك إياه ، أقسمت لي إنك تستبقيه إلى الممات ، بل تستصحبه إلى القبر ، فكان جديراً بك تحرمناً لأيمانك المغلظة أن تحتفظ به . لكنك تزعم أنك جدت به على كاتب محام . وأنا على يقين من أن ذلك الكاتب لم ينبت الشعر في ذقنه

غراتيانو : سينبت له عذار إذا أدرك الرجولة
نريسا : أجل ! على تخمين أن الأنثى تصبح ذات يوم ذكراً .
غراتيانو : أعزم إنني أهديته إلى غلام مراهق ، ربعة لا ينيف . عليك طولاً ، وهو كاتب القاضي . التمسه مني أجراً

لخدمته ولم أجرؤ أن أضنّ به عليه
 برسيا : إذا وجبت المصارحة بما في الضمير فقد أخطأت بأن منحته
 — من غير أن تبصر — أول هدية أهدتها إليك امرأتك
 ولا سيما أنها خاتم تقلدته ، مقسماً بالحرص عليه ، وكان
 جديراً بأن يستمر لصيقاً بلحمك مدى العمر ، لأنه عربون
 الوفاء الزوجي ، على أنني قد أهديت إلى قريني خاتماً من
 قبيله ، واستحلفته ألا يطيب عنه نفساً ، فأسأله تيقن كيقيني
 أنه لو بودل عليه بكنوز الخاقين ، لما أخرجته من أصبعه ..
 حقاً يا غراتيانو . لقد أحدثت في نفس امرأتك سيباً مشيراً
 للشجن ، ولو أحدثت بعلى مثله في قلبي لذهب بلي
 باسانيو : « متفرداً » يا للداهية . كان خيراً لي أن أقطع يسراى ،
 وأقسم لئن لم أفقد الخاتم إلا بعد دفاع مجيد
 غراتيانو : السنيور باسانيو منح خاتمه للقاضي ، بعد أن ليج في
 طلبه ، وكان القاضي خليقاً بأن يعطى ما يشاء ، أما
 أنا فقد رغب إلى كاتب سره في الحصول على الخاتم
 الذي بيدي ، فعرفت له قدر ما كتب ، وما تعب ،
 وحققته أمله . على أنهما كليهما قد عفاً عن كل جزاء
 منا إلا هذين الخاتمين
 برسيا : أي خاتم وهبت أيها السيد ، لعله غير الذي أخذته مني

- باسانيو : لو استطعت أن أضيف أكلوبة إلى ذنبي لأنكرت ،
ولكنك ترين أن الخاتم ليس في أصبعي ، وقد فقدته
- برسيا : ويحك من قليل الإيمان حانث بالإيمان آليت بالعلو العظيم
ألا أدخل سريراً أنت فيه ما لم أجد خاتمي
- نريسا : وأحلف مثل حلفتها أو أجد خاتمي
- باسانيو : يا سيدتي الجميلة ا لو كنت تعلمين لمن أعطيته ، ومن
أجل من أعطيته ، وبعد أي تمنع أعطيته ، إذ لم يرضه
أي شيء سواه ، لرفهت عليك ، وخففت من كدرك
- برسيا : وأنت لو علمت قيمة ذلك الخاتم ، أو نصف قيمة
الإنسان الذي وهبك إياه ، ولو أدركت أن شرفك
مرتبط بالألتخلى عنه ، لما طبقت عنه نفساً . ولو تشددت
بعض التشدد الواجب في الدفاع ، لما سمع رجلاً عنده ما قل
من الرقة ، أو الكياسة ، أو الأدب أن يصر على سلبك شيئاً
له عندك مثل تلك الكرامة . لقد أفهمتي نريسا ما يجدر بي
أن أظنه . وأنا الآن على ثقة من أن الخاتم إنما أهدي إلى
امرأة
- باسانيو : لا ياسيدتي ا أعزم على شرفي ، وعلى نجاته نفسي إن
الذي تلقى الخاتم ليس امرأة ، بل عالم حقوق لم يرض
ثلاثة آلاف دوق عرضناها عليه ، وإنما ابنتي خاتمي ،

فبعد أن أبيته عليه ، وكاد ينصرف مغضباً ، مع أنه
 منقلد صديقي — ماذا أقول لك أيتها الحبيبة برسيا —
 غلبني على أمرى عظمٌ جميله ، واستحييت من ضئى
 عليه تجاه تفضيله علىّ ، فلم أجرؤ أن أدع على شرفى
 ورسمة عار كوصمة هذا الجحود للإحسان ، فاغضرى لى
 ذنبى يا مليكة لى ، وأستشهد كواكب السماء ، مصابيح
 هذه الليلة البيضاء ، أنك لو كنت حاضرة لأمرتنى أمراً
 بإعطاء الخاتم لذلك الذكى العالم

برسيا : حذار أن يدنو عالمك من حرمى ، فتالله لو جاء بعد
 أن حصل على الحلبة التى كانت عزيزة علىّ ، وكنت
 حالفاً بالحرص عليها من أجلى حبنى ، لو جاء لما بخلت
 عليه بشيء يطلبه مما لا أبيعحه إلاّ قرينى دون سواه . واعلم
 أنى سأعرفه ، فإياك أن تتغيب ليلة واحدة ، وألا ترقبنى دائماً
 بعيون الحذر ، فإنك إن قصرت فى ذلك ، أو تركتنى يوماً
 منفردة فوايم شرفى الذى ما زال ملكى ، لأبيتن وضجيعى
 ذلك العالم

نريسا : « غاطبة غراتيانو » : وليكونن ضجيعى كاتبه إن غفلت عنى
 غراتيانو : ليفعل إن استطاع ، ولكن إياه أن يقع فى يدى فأهشم بها
 قلمه

أنطونيو : يا أسنى ! أنا المسبب لكل هذا الشجار
 برسيا : لا تبال ذلك يا سنيور ، مرحباً بك على كل حال
 باسانيو : برسيا ! اصفح لي عن هذه الغلظة التي وقعت برغمي ،
 وأقسم على مرأى ومسمع من أصحابنا هؤلاء . أقسم بعينيك
 اللتين أرى فيهما

برسيا : يا أيها الرجل الذي هو اثنان في واحد ، وكللك يترامى في
 كل من عيني . أقسم بازواجك هذا أصدق يمينك

باسانيو : رحماك ! أصغى لي . تجاوزى لي عن هذه الغلظة ،
 وأحلف بنفسى إننى لن أحث بأيمانى لك بعد اليوم

أنطونيو : « مخاطباً برسيا » : قد سلف أنى رهنت من أجله حياتى
 وهى تلك الحياة التى كدت أسلبها ، لولا العالم الذى
 كوفئ بتلك الخاتم ، واليوم أرتهن لك عهدى عنه ،
 بأنه لن يحنث عن عهد ، أو على علم منه ، بأى أمر
 يكون قد عاهدك عليه

برسيا : رضيت بك ضامناً ، فأعطه هذا الخاتم ، وأوصه بأن يحرص
 عليه أكثر مما حرص من قبل

« يتناول خاتماً ويدنيه إلى باسانيو »

أنطونيو : تناول هذا الخاتم يا سنيور باسانيو واحلف بأنك تصونه

- باسانيو : وايم الله هو نفس الخاتم الذى وهبته للعالم
برسيا : من يده تلقيته ، وغفرانك يا باسانيو !
نريسا : « غطبة غراتيانو » كذلك أنا ألتمس عفوك يا حبيبي
غراتيانو ، فإن ذلك الفنى المتقاصر ، كاتب القاضى ،
قد أعاد إلى هذا الخاتم الليلة البارحة
غراتيانو : غرابة وأى غرابة ! أفرخت لناقرون ولما يمن نباتها ! ما أشبه
هذه الحالة بإصلاح الطرقات الحميلة صيفاً حيث لا حاجة
إلى ذلك الإصلاح
برسيا : لطف من ألفاظك ! أجلكم جميعاً دهشين « غطبة باسانيو »
هذا كتاب تقرؤه - حين فراغ - كتبه بللاريو من بادوا
وفيه أن برسيا هى العالم ، ونريسا هى ناموسه . وسبيخبركم
لورنزو أننى سافرت منذ سافرتكم ، وأننى إنما عدت الآن قبيل
عودتكم ، فلم أملك أن أدخل قصرى . أنطونيو مرحباً بك ،
وإليك نبأ مبهجاً لم يكن فى حسابك : افضض سريعاً
هذا الألوكة ترّ فيه أن ثلاثة من مراكبك مليئة بأثمن ،
الأساق قد بلغت إلى المرفأ سالمة ، بعد اليأس من
نجاتها ، ولن أذكر لك المصادفة التى أوصلت إلى
هذا الكتاب قبل انتهائه إليك
أنطونيو : عى لسانى

باسانيو : « مخاطباً برسبا » يا عجباً ! أنت التي كانت ذلك القاضي
ولم نتبينك ! ؟

غراتيانو : « مخاطباً برسبا » : يا عجباً ! أنت كنت ذلك الناموس
الذي انتدب ليستنبت لي قرنين ! ؟

برسبا : نعم ، ولكن ذلك الفتى لن يفعل ما ذكرت حتى يصير رجلاً
باسانيو : « مخاطباً برسبا » : نعم العلامة الخلابية ، ستكون أيها ،
الأستاذ قسيمي في سريري ، وإذا أنا غبت ضجيج
امرأتى

أنطونيو : « قد أتم القراءة » : يا سيدتى لقد أفضت على جميع النعم
في إفاضة واحدة : الحياة ومقوماتها ، وإن هذا الألوكة ليؤيد
تأييداً مانعاً للريب رسو سفنى ناجية في الميناء

برسبا : ثم اعلم يا لورنزو أن في حقيقة كتابي أنباء تسرك أيضاً
نرسبا : أجل ، وسأعطيها غير مأجورة ، فهذا عقد بموجبه
نزل اليهودى الغنى لك ولحسيكا نزولاً قانونياً وثيقاً عن
جميع أملاكه وأمواله بعد مماته

لورنزو : أيتها السيدتان الشائقتان لقد أغلقتما المن وأمطرتما السلوى على
الجياح والعطاش .

برسبا : أوشك الفجر أن يلوح ، وما أجد عند أحد منكم إلا رغبة
في الوقوف على تفصيل هذه الحوادث ، فهلما تدخل ،

فتسألونني وأجيبكم بجلاء عن كل ما تستوضحون
غراتيانو : حباً وكرامة . لكنني سأسأل نريسا بادئ بدء عما
إذا كانت تؤثر التريث على المبيت إلى الليلة الآتية
أو اغتنام الساعتين الباقيتين من السحر . أما أنا فلو
كان الوقت نهائياً لتمنيت عودة الظلام وقضاء ساعاته في
هناة مع كاتب القاضى ، ولن أخشى ما حييت بعد
الآن إلا أن أفقد خاتم نريسا

« بيتمان وهبط الستار »

مطابع دارالعارف بمصر
١٩٢٦

هذا الكتاب

قصة تصور كثيراً من النوازع النفسية والمعاني البشرية كتبت على شكل أحداث جرت في إيطاليا تداولتها عنها سائر الأمم . إنها قصة الحب وقصة الطمع والحقد والجبن التي لا يقدر سوى شكسبير على تلوينها بقلمه وعبقريته النادرة . إن شخصية « شيلوك » المرابي اليهودي هي الشخصية التي لا تزال نموذجاً للطمع والحرص على مر الدهور .



To: www.al-mostafa.com